عبد السلام ياسين

محنة العقل المسلم

بين سيادة الوحي وسيطرة الهوى!





★ الكتاب : محنة العقل المسلم

★ الكاتب : عبد السلام ياسين

★ الطبعة : الثانية

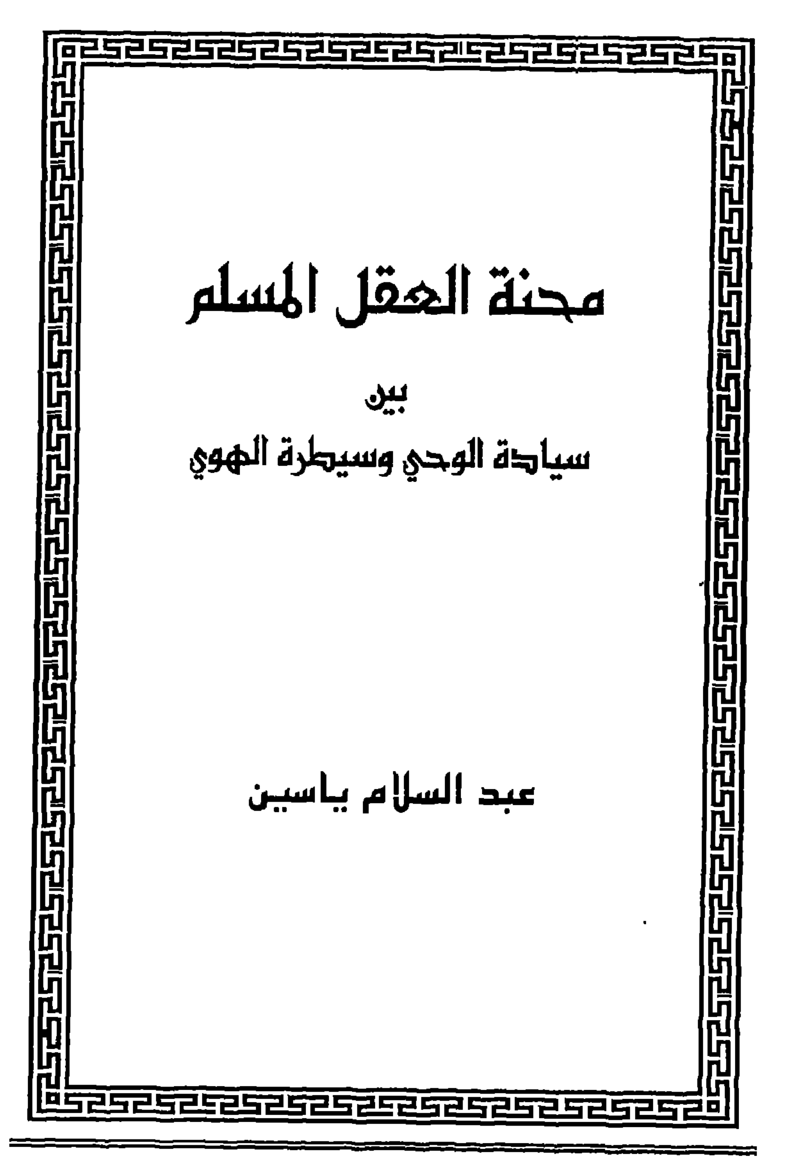
★ الناشر : دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية . مصر

★ التوزيع : دار البشير مصر - طنطا - أمام كلية التربية النوعية ت :322404

★ التجهيز الفني : شركة الندي للتجهيزات الفنية - المحلة الكبري ص .ب 265

★ الإيداع القانوني : 11568 - 1994

★ الترقيم الدولي : I . S. B . N - 977 - 5065 - 99 -2



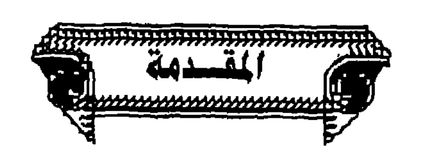
محنة العقل المسلم

بين

سيادة الوحي وسيطرة الهوى

عبد السلام ياسين


بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

هل من فرق جوهرى بين عقل من يستقى من حوض اللاييكية وينظر بمنظار مستعار ، وتجرى فى دمائه الثقافية تيارات فلسفية متطورة متدرعة بالحجة العلومية ، وبين عقل غيره من الناس ؟

أليس التركيب العقلى للناس واحدا ، وهم إما ذكى مثقف ، وإما أمى فى دركة ما من دركات الأمية ؟

أما الوحى فقد تكلم فيه علماء النفس والمستشرقون وصنفوه إلى جانب الظواهر المرضية الشاذة .

لم أضع علماء النفس بين قوسين إطلاقاً للإفك الجاهل والإفك المتعالم على عواهنه . وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ما به يستهدون من ضلالات العقل المعاشى الأصم الأعمى الذى يصطدم خفاشه بنور الوحى فلا يزداد إلا ضلالاً .

مع المؤمنين والمؤمنات كتاب الله تعالى خالق الإنسان ومركب مداركه وهادى من يشاء إلى صراط مستقيم .

من هنا تبدأ خصوصية العقل المؤمن واختلافه الجوهرى عن العقل

المشترك بين البشر ، عقل النظر القائم بذاته المستقل المتأله ، عقل المعاش المدبر لشؤون الحياة الدنيا ، المحجوب عن حقائق الغيب ما دام لا يسمع من الوحى ولا يبصر نور الوحى .

ليست المسألة اصطلاحاً يفرز العقل المؤمن الآخذ عن الله على حدة ، والعقل المعاشى على حدة . بل هو تميز جوهرى . ليس الأمر ترتيباً فى درجات يكون العقل المعاشى الفلسفى أكثر أو أقل حكمة وذكاء من العقل المومن . بل هو اختلاف نوعى .

للعقل المعاشى العلومى مجال واسع للتفكير والتدبير المنطقى فى نطاق الكونيات . متى حاول هذا العقل أن يقتحم ما فوق طوره هام فى بحور الفلسفة والأطروحات والتقديرات .

إلا أن تتداركه رحمة من الله فتسوقه من آفاقه التائهة رجوعاً إلى عتبة الفطرة التى يتساوى فيها الإنسان الأمى الباقى على فطرته لم يبرحها ولم يفسدها عليه الوالدان والمجتمع مع الفيلسوف العائد من جولاته وأطروحاته .

عتبة الفطرة هى بكل بساطة حاجة كل مصنوع لصانع . بديهية من بديهيات العقل البشرى الساذج تتلفها الفلسفة وتدكها دكا وتردمها فى ركام التقديرات ، فإذا العقل البشرى المعاشى المصاب بداء العمى عن البديهيات يقبل ببلادة أن يكون هو مصنوعا لنفسه .

داروين الفيلسوف الكبير تبلور مذهبه وترسخت لديه عقيدته لما زار جزر الجلاباجوس وتتلمذ هنالك على طبيعة انعزلت عن القارة ملايين السنين فطورت لنفسها نمطا للحياة يبقى الحياة على حيوانها والنبات . طورت فى زعمه وعماه .

سحلاة برية طورت لنفسها على مدى حقب رئتين واسعتين لتتمكن من الغوص فى البحر وتلتقم من أعشاب البحر لما شحت عنها أعشاب البر..

على مدى حقب طويلة طورت السلحفاة العملاقة أميرة الجلاباجوس أسلوبا للحياة ومقومات للحياة تتماشى مع المحيط الطبيعى ، وسميت الجزر باسم السلحفاة . جلاباجو بالإسبانية تعنى سلحفاة .

ماذا فعلت بنفسها هذه الماكرة ؟ إنها صنعت لنفسها على مدى أحقاب عنقا طويلة لتبلغ أغصان الشجيرات البعيدة عادة عن متناول السلاحف .

وصعد داروين على ظهر السلحفاة الأستاذة فانجلى له المذهب التطورى الذى خرج به على الناس . واستقرأ ما فى القارات سهلها وجبالها ، قاحلها وعامرها ، فوجد أن قانون التطور عام فى الطبيعة التى تصنع نفسها بنفسها ، وتطور لأفرادها أعضاء تتلاءم مع البيئة

المتطورة .

هكذا سحلاة الجلاباجوس وسلحفاتها ، وهكذا حشرات الصحراء وحيتان البحر . وهكذا القرد الذى طور نفسه زمانا بعد زمان حتى استوى قائما ، واستعمل الآلات الحجرية فنمّى عقله ، ووسع جمجمته ، وأثقل وزن مخه ، وتعاظم ذكاؤه ، ونثر عن بشرته الزغب ، وقوّم أنفه ، وسوى خلقه ، ونطق بالكلام همهمة بعد إشارة ، ثم لغة فلغات ، ثم علوما وفلسفة .

وهكذا يدور العقل المعاشى الفيلسوف فى منطق مغلق لما انسدت مسالكه وانحبست قنواته وعميت عينه وصمت أذنه عن السماع من الوحى :



مجاز وحقيقة

استأنسنا فى كتاب « حقوق الإنسـان » بمجاز عين العقل وشبكيته وقرنيته وبلّوريته وما يعتريها من أمراض . واستأنسنا بمجاز الدماء الثقافية ومصبها ومجاريها ووظائفها الموازية لوظائف الدماء البيولوجية .

هيأنا الاستيناس بالمجاز للوقوف على حقيقة من الحقائق الجوهرية التى يبسطها الوحى بسطا، ويكررها تكرارا ؛ ويضرب لها الأمثال ، لكن يمر عليها قارئو القرآن مراً لا يكادون يقفون معها .

هذه الحقيقة هى أن العقل عقلان ، ما نسميه عقلاً لغة وتعريفاً للملكة المشتركة بين البشر ليس هو مسمى العقل فى القرآن .

العقل فى القرآن فعل حاسة باطنة في الإنسان تسمى القلب . العقل تلقٍّ لحقائق الوحى بواسطة القلب .

والفقه فى القرآن علم ينشأ فى باطن الإنسان ، فى قلبه .

والتفكر حركة قلبية تتدبر الكون استدلالا على الله .

هذا العقل المعاشى المشترك بين البشر إما يكون آلة للقلب يخدم تطلعات القلب إلى خالقه ، وإما يكون آلة للهوى المتأله ، أو للنفس والشهوات ، أو للفلسفة والتأملات ، أو للفعل فى المكونات ، أو لجمع

المعلومات واستنتاج حصيلة الماجريات .

وكمال العقل الآلة أن يخدم القلب وتطلعاته خدمة متزامنة متساوقة مترابطة هنا وهناك . هنا في الكون حيث يشترك مع كافة البشر في طرق تحصيل علوم الكون . وهناك وراء سجف الغيب من حيث لا تتأتى له معرفة إلا باستماعه للوحي .

ذكرت مادة « قلب » في القرآن أكثر من مائة وثلاثين مرة . ما منها لفظة تنصرف للعضلة الصنوبرية اللحمية .

وذكرت في القرآن مادة « عقل » خمسين مرة . ما منها لفظة تدل على الآلة المشتركة .

وذكرت مادة « فقه » عشرين مرة ، ومادة « فكر » ثمان عشرة مرة : كل ذلك دلالة على : الوظيفة القلبية الإيمانية .

يأخذ العقل الآلة علومه عن الكون بواسطة الحواس ، وبواسطة البديهيات الفطرية ، ثم بواسطة المنطق الناشئ لديه من استقراء الثابتات والمترابطات والمستلزمات .

ويأخذ العقل الكامل عن الوحي ما هو من علم الغيب ، وعن المدارك المشتركة ما هو من عالم الشهادة .

يحدث للعقل المؤمن بالله المصدق للوحي عَوَرٌ إذا أغمض عين

المدارك المشتركة ، وعجز عن التعلم من الكون ، وترك آلته للإهمال والصدأ . فيفوته ركب الحياة الدنيا ، ويقعد مع القاعدين العاجزين .

وذلك نقص في حقه ، وقصور عن فهم رسالة الوحي الذي أنبأ الله سخر لنا الكون وأمرنا أن نسير في الأرض ونستعمرها ونداقع ونجاهد . وكل ذلك ممتنع إن لم نسخر بإرادتنا واجتهادنا وتعلمنا هذه الآلة العجيبة المسماة عقلاً .

ويصيب العقلَ المشترك الآلة عاهة العمي الكلي ، لا يبصر معها البصر المعتبر علي أفق الأبدية وهو البصر بالله وبأمر الله وبالدار الآخرة وما يسعد الإنسان هنا وهناك .

يصيب الشلل والعجز في الدنيا العقل المؤمن إن أغمض إحدي عينيه وأعرض عن الاكتساب في حلبة النظر العلومي الصناعي التدافعي الجهادي جنباً إلي جنب مع العقل الآلة المشترك .

ويضل العقل الأعمي المعرض عن الوحي فلا يهتدي سبيلاً إلي الغاية الوحيدة المعتبرة علي سلم الأبدية والخلود في الجنة أو النار . لا يهتدي سبيلاً إلي سعادته الأخروية وإن كان بصيراً بسبل رخائه المادي في الدنيا .

ذكرت مادة « عمي » في القرآن ثلاثاً وثلاثين مرة ، منها ثلاثة ألفاظ تدل علي عمي الحاسة في الرأس . وثلاثون لفظة للدلالة علي

عمي القلب .

هذه الحواس المشتركة من سمع وبصر تنغلق مسالكها وتنحبس ، وتتعطل وظائفها ، فيسمع السامع وهو غير سامع ، وينظر وهو لا يهتدى .

ذلك حين يحول كفر الكافر بينه وبين ضوئيات الوحى ويقطع الشك مواصلاته مع مصادر السمع .

قال الله عز وجل يصف حال الكافرين مخاطباً رسوله محمداً ﷺ : ﴿ **ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون . ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون** ﴾ (1) .

فهؤلاء يسمعون الكونيات ويبصرونها ، لكنهم كما وصفهم القرآن الكريم : ﴿ **صم بكم عمى فهم لا يعقلون** ﴾ (2) .

فى ميزان الحق ، وعلى سلم الأبدية ، ينحط العقل المعرض عن الوحى المنازع ربه على السيادة المتأله المتجبر المستكبر ، إلى درجة الحيوان .

سبحان الله الذى أهانه حتى أصبح يفتخر بحيوانيته ويعتز

---

(1) يونس : 42- 43 (2) البقرة :17

بفرديته.

قال الله تعالى يصف الصم البكم العمى الذين لا يعقلون ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون ﴾ (1)

لهم قلوب العضل الصنوبرى التى تمرض من ترف الحضارة ومآكل الشره ، وضغوط هموم المدنية الصاخبة السريعة الدائرة بالإنسان الفردى فى دوامة الهوس المعاشى . لكن ما لهم قلوب الفقه عن الوحى ، ولا آذان الاستماع من الوحى ولا أعين الاستنارة بالوحى .

﴿ أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون ﴾ (2) .

﴿ أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم . أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ (3) .

قلوب مطبوع عليها ، مختوم عليها ، موضوعة عليها الأقفال . أقفال هى صنعتها بعنادها وكبريائها وتفاهتها القردية.

أعاذنا الله . حمانا الله . رحمنا الله .

---

(1) ، (2)الأعراف: 179 . (3) محمد : 23، 24.

من المسجد وإليه

نبدأ من المنابع ، من حيث بدأ العقل المسلم مسيرته كان العقل الساذج العربى الجاهلى مفصولاً عن فطرته بعوامل نفسية ومكتسبات دنيوية . كانت العصبية القبلية واقتفاء أثر الجدود ، ورئاسات الرؤساء ، ولهو البؤساء أهم ما يطمر الفطرة العربية الساذجة .

لم يكن لذلك العقل كبير كسب فى الميدان الحضارى ، لم يكن له مثلاً ناطحات سحاب وصواريخ وعلوم طبية تعبث بأعضاء الإنسان وتلعب بمورثاته لعب جنون .

لم يكن لذلك الساذج مكتسبات فلسفية تراكمت مذاهبها ، ولا مذاهب سياسية أذيولوجية تناقضت مكتسباتها .

لم يكن ذلك العقل على حافة دمار نووى .

لم يكن أمامه ولا خلفه كتلة من الأشياء والأفكار التى أنتجتها حضارته .

كانت الحواجز والموانع أمام الهداية نفسية أكثر شىء .

وكانت القيم المروئية من كرم وشجاعة وأمانة وشهادة وذمة مقدرة تقديراً عالياً كما كانت العلل السياسية الاجتماعية فاشية من

غزو القبيلة للقبيلة وعدوان الجار على الجار .

كانت الفاقة والقلة والحاجة وشح الموارد فى البوادى سمة موازية لترف التجار المكيين الذين برز منهم رجل عرف بالأمانة والاستقامة والشرف طيلة حياته .

هذا الرجل هو محمد ، من أوسط الناس نسباً وأرجحهم عقلاً وأعلاهم همة . أوسط بمعنى أرفع .

وحول المسجد الحرام بمكة ، وفى فناء الكعبة المشرفة ، ألقى رسول الله ﷺ بيانه وبلاغه لما جاءه الوحى . كان هو أول من تعجب مما أصابه لما نزل عليه شخص لم يكن يعرفه ، وخاطبه ، وعلمه ، وقرأ عليه القرآن ، وأخبره أنه رسول الله ، وأمره بتبليغ الرسالة وإلقاء البيان .

فزع محمد ﷺ ، وجاء زوجه خديجة يتساءل ما به .

ثم عزم أمره وألقى البيان وخاطب قومه بالبلاغ .

فطائفة سمعت سمع التصديق ، دخل معه فى دينه ضعاف الناس وأوساطهم رجلاً رجلاً وامرأه أمرأة تحت اضطهاد قريش .

وصم الكبراء من القوم ولم يسمعوا سمع القلب ، والتف العقل المعاند المعتز بذاته المكابر المجاحد فى أردية كبريائه .

لمكان الصمم والعمى فى القلوب صَدَفَ من صدف وتولى وأعرض وكفر .

﴿ إنه فكر وقدر . فقتل كيف قدر . ثم قتل كيف قدر . ثم نظر . ثم عبس وبسر . ثم أدبر واستكبر . فقال إن هذا إلا سحر يؤثر . إن هذا إلا قول البشر ﴾ (1) .

« فكر » هذه لفظة من بين ثمان عشرة كلمة وردت فى القرآن ، كلها تشير لتفكر القلب إلا هذه .

ولتنزل رحمة الهداية تفتحت قلوب فسمعت السمع الصحيح ، وعقلت العقل المسلم ، واستجابت وآمنت . وعملت صالحاً فازداد إيمانها . واستمعت آيات الله تتنزل مبشرة منذرة فازداد إيمانها ، ورسخ يقينها ، وتوثقت صلتها بالوحي وتلمذتها له .

---

(1) المدثر : 18 : 25

ميلاد وميلاد

هكذا ولد العقل المسلم فى فناء الكعبة ، فى المسجد الحرام ، وهكذا بدأ تاريخ الإسلام وتاريخ العقل الإسلامى .

ولد العقل المسلم فى المسجد ، وولد العقل الفيلسوف فى الساحة العامة . فى ساحة المشائين اليونان على جوانب الأكورا .

الأكورا هو الاسم اليونانى للساحة العامة وسط المدينة ، حيث ولدت الديمقراطية اليونانية سلف الديمقراطيات الغربية. ولدت الديمقراطية جنباً إلى جنب مع الفلسفة ، وولدت الشورى من رحم العقل المؤمن بالله ورسوله .

نزل الوحى بالشورى فاحتال العقل المؤمن فى تطبيقها واجتهد . أستغفر الله ، فإن رسول الله ﷺ ما ينطق إلا عن الوحى . ومن نسب إليه الاجتهاد من العلماء فإنما هى تغطية على خصوصية الرسول ﷺ ليتحرر العقل المسلم من التقليد ويحتال ويجتهد فى التطبيق .

وولدت القانونية الرومانية فى جنبات « الفوروم » وهى اللفظة اللاتينية للساحة العامة .

حول الأكورا اليونانية والفوروم الرومانى كانت المحاكم والمتاجر والمصارف والمعابد ، ووسط الساحة كانت تعقد التجمعات العامة والحفلات العامة التى كانت هى المظهر الأكبر للدين .

كان الدين على الهامش مع التجارة والقضاء والمال وكانت الوظيفة الاجتماعية الوسطى المركزية هي الوظيفة السياسية للساحة العامة.

ولد العقل الغربى اليونانى الرومانى سلف العقل العصرى نزيلا على عنصرية الديمقراطية اليونانية التى كانت الإنسانية لديها إنسانيتين: إنسانية المواطن الحر الذى يتمتع بكل حقوق السيادة، وإنسانية العبيد الذين لهم فقط حق البقاء فى الحياة مادامو يطيعون السيد.

ولد العقل الغربى الرومانى اليونانى نزيلاً على القانونية الرومانية التى كانت ترسم خارطة العالم، وتجبى إلى روما العظيمة السيدة القاسية المتحضرة الدموية ثمرات العالم.

وتضمن للمواطن الرومانى حقوقاً باهظة على حساب العالم الرازح فى أصفاد العبودية، الثائر تارة المقموع دائماً بقوة الفيالق المدربة العتيدة.

بدأت من المسجد بمكة ومن الساحات العامة بأثينا وروما مسيرتان للعقل البشرى. وكان للمولودين شأن فى التاريخ هو نفس الشأن الذى نحن بصدده. لا خلاص لنا من أوهام السياسية والحداثة والعقلنة وإعلانات حقوق الإنسان ما لم نتبين بالفحص المعمق أى إنسان هو الإنسان، وأى حق هو الحق لدى هذا المولود وذاك.

سيادة الوحي وسيادة الساحة

خرج العقل المسلم من المسجد إلى الساحة ، ودخلت الساحة فى العقل الآخر دخولاً متمكنا .

فلما جاءت النصرانية إلى روما وأثينا وسائر ديار الغرب وردت والمكان عامر بالساحة وعقلية الساحة . زاحمت النصرانية لتتصدر الحياة ، فلم يتأت لها شىء من ذلك إلا بعد أن أوسعت للحضارة الفنونية اليونانية وللفلسفة الأثينية وللعقلية القانونية الرومانية ، ورحبت بها واحتضنتها ، واتخذت منها آلة ولباساً وهيأة ومظهراً .

واحتضن الوحى الإنسان المسلم ، وكيف آلة العقل المعاشى وصبغه بصبغة الله ﴿ **ومن أحسن من الله صبغة ، ونحن له عابدون** ﴾ .

كسر الإسلام الأصنام الحسية والمعنوية خطوة خطوة ونقل العقل الإنساني من الولاء للأوثان إلي الولاء لله الواحد القهار .

بينما احتضنت الكنيسة الواردة على مكان عامر أصنام الأكورا وتماثيل الفوروم ، وأدخلت فى طقوس عباداتها فنية الكورال الغنائى اليونانى ، وبهرجة لباس الكاهن وترتيب مذبح قُدّاسه ، وعلقت المصورات والإيقونات والصلبان ونصبت المنحوتات ، ورفعت الأعمدة الرخامية .

وقف العقل المهتدى على عتبة الفطرة يسأل السؤال الفطرى عن الخالق وعن المصير فأخبره الوحى بوحدانية الله وأخبره بالجنة مآلا للمؤمنين وبجهنم مثوى للمتكبرين، ووصف له الجنة والنار وصفا كأنها رأى العين .

وأخبرت الكنيسة التى حرفت دين رسول الله المسيح عليه السلام بالشرك الثالوثى ، وبالسماء بعد الموت . سماء هى فى نطق الكنيسة وتعليمها أشبه شىء بأشباح الأولمب اليونانى الذى تطير فيه الآلهة وتتنازع وتصطلح ثم تتقاتل .

ولدت الديمقراطية عنصرية ، وولد العقل الغربى المتشبع بالقانونية الرومانية والأسطورية اليونانية وثنياً مادياً ما خلصته النصرانية لأنها ما تخلصت بل تورطت وانغمست .

فعندما نتحدث عن الاختيار بين عقلين وعقليتين ، فإنما نختار إما سيادة الوحى خالصاً مخلصاً يستقى من نبعه المحفوظ فى كتاب الله وسنة رسوله ، وإما سيادة الساحة التى سكنت العقل الآخر واحتلته بماديتها وعنصريتها وضبابية أهدافها .

لا شك أن المنبع الإسلامى ، أى الوسط الاجتماعى البشرى الثقافى ، تفاعل مع الوحى تأثراً وتأثيرا . لكن التأثير كان حاسماً قوياً لضعف المكان وقوة الوارد .

بينما وارد النصرانية اليهودية على مكان عامر بالثقافة الفلسفية والديمقراطية العنصرية والقانونية الاستعمارية تأثر أكثر مما أثر ، وأخذ أكثر مما أعطى . وامتزج واختلط .

فلما طردت الفلسفة التنويرية الثورية الكنيسة من سدة السيادة طردا مطرداً منذ الثورة الفرنسية ارتفعت الكنيسة من الساحة تاركة ما لقيصر لقيصر ، شأنها ذلك منذ نشأتها وبقيت القيصرية والمادية الفنونية والوثنية الحواسية مطلقة تصول وتجول وتقول .



ماهو الوحى ؟

جذبت عناية الله السابقة عبده محمداً ﷺ إلى ميقات نزول الوحى عليه . لما بلغ الأربعين من عمره حُبِّبَ إليه الاعتزال والتّحنّث (وهو التعبد) . فكان يخرج إلى غار حراء الليالى ذوات العدد يتزود لذلك .

روى الشيخان عن عائشة رضى الله عنها أن الوحى فجأه فى الغار . فجاء الملك جبريل عليه السلام فقال له : اقرأ . قال ﷺ : «فقلت ما أنا بقارئ . فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد » ثم غطه الثانية والثالثة . ثم قال له : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾ (1) .

قالت عائشة رضى الله عنها : « فرجع بها رسول الله ﷺ يَرْجُف فؤاده . فقال لخديجة : زملونى ، زملونى ! حتى ذهب عنه الرّوع . فقال لخديجة ـ وأخبرها الخبر ـ لقد خشيت على نفسى !

فقالت خديجة : كلا ! أبشر ! فوالله لا يخزيك الله أبداً ! إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق .

---

(1) العلق : 1 : 5

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّى بن قصي - وهو ابن عم خديجة أخي أبيها - وكان امرءاً تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني . فكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمي .

فقالت له خديجة : يا ابن عم ! اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى .

فقال له ورقة : هذا الناموس الذى نزل الله على موسى . يا ليتنى فيها جَذَعاً ! ليتنى أكون حيا إذ يخرجك قومك !

قال له رسول الله ﷺ : أوَمُخْرِجِيّ هم ؟!

قال : نعم ! لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى . وإن يدركنى يومك حياً أنصرك نصراً مؤزراً » .

هكذا نزل الوحى على رجل ما كان لة علم بالناموس الذى ينزله الله على من يشاء من عباده .

ما كان يعلم ، فلذلك فزع من رؤية رجل غريب يخاطبه ويغطه (أى يضمه بشدة) ويطلب إليه أمراً ليس له به عهد وهو الأمي .

لم يكن فيلسوفا متطلعاً إلى ميتافزيقا . لا ولا قارئاً مثقفاً مطلعاً على تاريخ الأنبياء.

إنما كان رجلاً منصرفا إلى شأنه فى تجارته وأسرته وقرابته كما

ينصرف الناس ، حتى استيقظت الفطرة فى قلبه فرفع بصر قلبه إلى الأفق الأعلى ، إلى أفق السؤال المفتقر فجاءه الجواب الخاص الذى ينزله الله على صفوة خلقه ، وهم رسله وأنبياؤه عليهم السلام .

سردنا كيف نزل الوحى . وليس الكيف الحدث جوابا عن عنوان هذه الفقرة الذى يطلب تفسير ماهية الوحى .

ماهو الوحى ؟

يستطيع كل أن يجيب بما عنده من تخرص أو استنتاج أو تعريف لغوى .

فالمحلل النفسى المستشرق يستجمع آلات صناعته ليستدل على أن الرجل كان صادقاً فى الإخبار عن الحدث . لكنه ، مثل غيره ممن يعانون من الذهان وانفصام الشخصية خاطبته أشباح هلوساته .

وقال المعاصر الذى كذب وتولى بعد أن فكر وقدر وعبس وبسر : ﴿ **إن هذا إلا سحر يؤثر . إن هذا إلا قول البشر** ﴾ .

وقال آخرون ممن صموا عن سماع النداء : مجنون ، كذاب ، أفاك .

وقال اللغوى : الوحى الإشارة السريعة .

وقال الله عز وجل : ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا**

---

(1) الشوري : 48 .

وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء ، إنه على حكيم ﴾ (1) .

فالوحى كلام يكلم الله به عباده المصطفين إما للاهتداء فى حد ذواتهم ، فتلك النبوءة . وإما يصطفيهم سبحانه لحمل رسالته لمن شاء من خلقه ، وتلك رسالة الرسل عليهم السلام ، وقوامها النبوءة .

يوحى سبحانه إلى أنبيائه ورسله بالكلام القدسى كما أوحى إلى موسى عليه السلام ، أو يرسل أمينه على وحيه جبريل عليه السلام فيوحى بإذنه ما يشاء ، ويوحى سبحانه إلى عامة المستجيبين للرسل بواسطة الرسل عليهم السلام كما قال تعالى : **﴿ وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ﴾** (1) .

ويوحى إلهاما كما قال عز وجل عن النحل : **﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللاً ﴾** (2) .

ويوحى سبحانه إلى عُمَّار السماوات من الملائكة كما قال عز وجل : **﴿ وأوحى فى كل سماء أمرها ﴾** (3) .

ويوحى إلى الملائكة أمره العزيز فى المواقف الخاصة كما أوحى إليهم سبحانه فى واقعة بدر : **﴿ إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم**

---

(1) الأنبياء : 72 . (2) النحل : 68 ، 69 . (3) فصلت : 11 .

فثبتوا الذين آمنوا ، سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ﴾ [1] .

وأوحى سبحانه إلهاما إلى أم موسى عناية منه سبحانه بوليدها السعيد : **﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني ، إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾** [2] .

ويوحي سبحانه ببشرى المنام للسعداء من المؤمنين كما أخبر رسول الله ﷺ أن الوحي ارتفع من بعده وبقيت لأمته المبشرات وهي جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة .

فجأه الوحي ﷺ وأفزعه ، لأنه لم يكن ينتظر الحدث الجلل ، كما قال الله عز وجل يخاطبه فيما بعد : **﴿ وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك ﴾** [3] ، وقوله عز من قائل **﴿ ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا ﴾** [4] .

جاءه الوحي ﷺ . كلمه ربه بواسطة الملك الكريم ، وأمره بالقراءة إذ القراءة مفتاح العلم ، وعلمه الجواب الإجمالي عن السؤال الفطري الذي يلح على القلوب السليمة وتعمى عنه وتجهله وتتجاهله الفطر المريضة .

---

(1) الأنفال : 12 (2) القصص : 6 .
(3) القصص : 86 . (4) الشورى : 49 .

﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق ﴾ (1) .

فى أول جملة كلم بها الحق سبحانه خاتم أنبيائه وتاج رسله ، جاء الجواب بأن الله هو الخالق لا الأصنام ، ولا الأبوان ، ولا الطبيعة ، ولا السلحفاة الماكرة فى جزر الجلاباجوس تكيف أعضاءها لتتلاءم خلقتها مع البيئة المحيطة .

وفى ثانى جملة إخبار بأصل خلق الإنسان فى أحشاء ظلمة البطن ، علقه ثم خلقاً بعد خلق حتي يستوي الجسم ويخرج إلي الوجود الخارجي لغزاً علي نفسه إلا أن تتداركه العناية الإلهية فيصغي .

وحمل ﷺ رسالة إلى العالمين مبدأها الأول معرفة الخالق وتوحيده وعبادته .

جاءت الرسالة إلي الأرض لينشأ لها دعاة وحملة ينصرون الرسول ويجاهدون إلى جنبه . واختار العلي الحكيم سبحانه أمة أمية فارغة من كل علم ، قليلة البضاعة من مكتسبات الحضارة ، قبائل متفرقة تظهر إحدي معجزات الرسول المبعوث في جمع كلمتها ، جاهلة سرعان ما تتعلم لتكون بعد فترة وجيزة أستاذة العالم .

كانت العرب في جاهليتها تعبد أصناما ، لكل قبيلة وفخذ وأسرة

---

(1) العلق : 1 ، 2 .

صنمها المفضل . يصنع المتواضعون آلهتهم من خشب منحوت أو حجر منصوب أو خبز يأكلونه عند الحاجة ويستورد عسلية القوم أصنامهم من الشام وأطراف الشام المتحضرة المتقنة للفنون الهلنستية التي احتلت بثقافتها تخوم بلاد العرب منذ غزوات الإسكندر المقدوني .

وحي يتلى على قوم أميين بهرتهم بلاغته ، وأعجزهم بيانه وهم بلغاء العرب وفصحاؤها . فكان الوحي وإعجازه وتحديه الذي لم يرفعه منهم رافع أظهر المعجزات . ومعجزات أخري كثيرة ظهرت تأييداً إلهيا علي يد الرسول .كما تظهر على أيدي رسل الله عليهم سلام الله .

وحي يحمله رجل عرف بالأمانة والصدق والشرف ومعجزات خارقات مثل شق القمر . وقوم أميون قريبون من الفطرة مجردون من الحمولة الحضارية الثقيلة التي تغلف الإنسان في أدران مادته ومصنوعاته ومنحوتاته الصنمية الحجرية أو الفكرية الفلسفية .

قوم مع ذلك لبعضهم على بعض سيادة ، وامتيازات ورئاسات ومصالح .

وعودي رسول الله ﷺ وقوتل . ونهض معه النهضة العظيمة التي نقرأها في السيرة قوم سمعوا واستجابوا .

وصحب الوحي رسول ﷺ في مراحل جهاده . في الأحداث الكبري مثل مسراه ومعرجه الشريف حين ناجاه ربه سبحانه منه إليه. وفي غزواته الحاسمة مثل بدر وأحد والفتح وحنين والعسرة .

وصحبه الوحي ﷺ يفصل له ولأمته ما فرض الله عليها وما أجل وما حرم . ويبشر وينذر .

كان الوحي في مكة لمدة ثلاث عشرة سنة يركز انتباه المؤمنين والمؤمنات علي التوحيد وعلى الآخرة . ثم كان جل ما تناوله بعد ذلك الحث علي الجهاد ، وضرب الأمثال بصبر الرسل وجهادهم ، وتوجيه المسلمين في المواقف التي يحار فيها الرأي ، وأحكام التشريع .

لم يقص الوحي العقل المعاشي المدبر للشؤون الحياتية . بل نصبه أميراً في مجالاته المشتركة بين البشر عندما قال رسول الله ﷺ للأنصار في مسألة تأبير النخل : أنتم أعلم بأمور دنياكم .

ولم يعتقل الوحي العقل المدبر المبتكر اليقظ المتفاعل مع الأحداث يعرف الضار من النافع ، والأليق من المخطئ .

لذلك كان رسول الله ﷺ يستشير أصحابه ويستطلع رأيهم ويتوسط في خلافاتهم فيما يرجع للرأي والحرب والرحلة والمنزل والقسمة ، مستهديا هو وهم بالوحي واقفين عند نصه وروحه ، مجتهدين في التطبيق حسب الاستطاعة والمقدار الموفي بالغرض ،

وحسب الزمان والمكان .

وتنوعت طرق نزول الوحي علي رسـول الله ﷺ والصحابة يشاهدون ويعيشون مع الوحي والموحَى إليه في وقـائع يومية تأكدوا فيها من صدق الصادق الأمين وازدادوا إيماناً على إيمان .

قال تعالى : ﴿ **وإذا ما أنزلت سورة فـمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً ، فـأما الـذين آمنوا فزادتهـم إيماناً وهم يستبـشرون . وأمـا الذين في قلوبهـم مرض فـزادتهم رجسـاً إلى رجسـهم ومـاتوا وهم كافرون** ﴾ [1] .

كانت لرسـول الله ﷺ الهيـبة العظيمة في قلوب أصحابه رضي الله عنهم . بشـريتـه واصلة بينه وبينهم يشـاركهم فـي المطعم والملبس والمسكن والسراء والضراء والمرض والصحة والفقـر والغنى . وكان الوحي واصلاً بينه وبين القدس .

كان الواسطة ﷺ ، وتلك نمـوذجيته التي أخبر عنـها قولـه تعـالى: ﴿ **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي إليّ أنمـا إلـهكم إلـه واحـد** ﴾ [2] .

وتلتقي البشرية المحمدية مع الوحي ، فـيسأله الصحابي الحارث بن هشام : يا رسول الله ! كيف يأتيك الوحي ؟ فـيقول رسول الله ﷺ : «أحياناً يأتيني مـثل صلصلة الجرس ، وهو أشده علي ، فيـفصم عني وقد

(1) التوبة : 126 .   (2) الكهف : 105 .

وعيت ما قال . وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني ، فأعي ما يقول » .

ومرات زارهم الأمين جبريل عليه السلام على صورة دِحْيَةَ رجل يعرفونه ، فيحسبون أنه من يعرفون ، حتى يخبرهم ﷺ أنه جبريل جاءهم يعلمهم دينهم .

كانوا يعرفون من تغير بشريته ﷺ متى ينزل عليه الوحي . فيقول عبادة بن الصامت رضي الله عنه : « كان نبي الله إذا أنزل عليه كُرِبَ وتربّد له وجهه » ، وفي رواية أنه ﷺ إذا أنزل عليه الوحي « غمض عينيه وتربد وجهه » .

كان الوحي حدثاً يومياً وأمراً معروفاً وظاهرة مألوفة .



التزكية والتعليم

لم تقتصر مهمة النبي الرسول علي حمل الرسالة وتبليغها شفوياً كما يتصور بعض العابثين ممن يستهين بمقام النبوة العظيم ومهمة الرسول الفخمة الضخمة حين يشبه الرسول بساعي البريد أدي الأمانة وانتهي واجبه بإيداعها .

يتحمل الرسول مهمات عذيدة أهمها ما نقرأه في قوله تعالى: **﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾** [1] .

فهذان مؤهلان في الرسول ، كونه مبعوثاً من لدن المولي جل وعلا ، وكونه منهم . كونه بشراً مثلهم ، وكونه عربياً ينطق بلسانهم ليبين لهم ، وكونه أمياً مثل عامة الناس ، لا يتميزعنهم بمعرفة مكتسبة مثل قراءة ورقة بن نوفل للعبرانية وكتابته من الإنجيل . إذ لو كان معه علم من علوم أهل الكتاب لاتّهم بأنه ناقل مقلد . وقد اتهمه بالفعل طائفة من المعاصرين له فقالوا : **﴿ إنما يعلمه بشر ﴾** [2] ، واتهمه مستشرقو هذا العصر ومستغربوه .

---

(1) الجمعة : 2 . (2) النحل : 103 .

مؤهلان اثنان أساسيان ضروريان أن يتكاملا ليقدر الرسول علي توصيل الرسالة وعلي التأثير التربوي القائم علي القدوة والمثلية .

بشر يوحي إليه ، مؤيد بعد ذلك بالمعجزات والتوفيق والبركة والنصر من عند الله .

وتشير الآية إلي أربع وظائف أساسية ، هي : أنه يتلو عليهم آيات ربهم ، ويزكيهم ويعلمهم الكتاب ، ويعلمهم الحكمة .

تلاوة الآيات تبليغ مادي آلته اللسان ، وتبليغ بالإقناع لصدق المبلغ ينضح بصدقه نبرة صوته ، وخشوعه وبيان ما يتلوه وإعجازه ، ثم طاعته لما يوحي إليه ، وبيانه للغامض منه علي أفهام السامعين ، وتفصيله للمجمل ، وتخصيصه للعام . وكل ذلك وحي لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوي .

وتزكية هي : « التطهير والنماء ببركة الله تعالى » . كما قال المفسرون .

ثم التعليم العلمي المعرفي والتطبيقي .

يعلمهم الكتاب ، يعني أنه يعلمهم الأحكام الشرعية .

يعلمهم الحكمة ، يعني الكيفيات العملية التطبيقية التفصيلية . الحكمة « معرفة الموجودات وفعل الخيرات وإصابة الحق بالعلم

والعقـل » .

مجـموع هذه الوظائـف يؤول إلي صفـة واحدة هي صفـة المربي المعلم . وقد قال ﷺ حين سألوه يوماً عن الطـهارة من الخبث : « إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم » [1]

والد يعلم . مرب معلم . الوظيفتان معاً مندمجتان غير منفصلتين . حنو الوالد وحبه وحرصه علي النفع ووفـاؤه وأمانته وتفانيه ، ثم الكفاءة والقدرة والعلم الواسع ، والصـبر علي المتعلمين والتنزل لهم حـتي كان يعلمهم أخص خصوصيـات الإنسان مثل طهارة الخبث . علم واسع أتاه وحياً . وحكمة بشرية و مـروءة وفطـنة .



(1) رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي .

ياأيها الإنسان !

الدين شرعة ومنهاج . الشرعة ما جاء به القرآن ، والمنهاج ما جاءت به السنة كما قال حَبْر الأمة سيدنا عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما . الشرعة خاطبت الإنسان ، والمنهاج حقق النموذج الإنساني .

« المنهاج » هو اللفظة القرآنية لا المنهج .

المنهاج التطبيق العملي المفصل المنظم المتدرج . فما كانت تربية النبي الرسول ﷺ وتعليمه خبط عشواء .

أول ما بدأ به الوحي وبدأت به التربية ترسيخ وحدانية الخالق جل وعلا وترسيخ حقيقة البعث والنشور والجزاء والجنة والنار .

خاطب القرآن الكريم الأميين المستجيبين للداعي خطاباً قوياً في هذا الأمر ، خاطب الإنسان من حيث إنسانيته ، خاطبه من حيث فطرته ومخلوقيته . ولا يزال يخاطبه . الفرق بين الأميين الأولين وبين الناس أجمعين إلي يوم القيامة يتمثل في كون أولئك كانوا عارين أو شبه عارين عن العوائق الخارجية الحضارية التي تشوش علي السمع ، بينما الإنسان في عصر كعصرنا مكتظ الآفاق الحسية والعقلية بطفيليات صنعه وفلسفته وشغله وثروته وغناه وبؤسه وفاقته التي يلهبها منظر المترفين وآلات ترفهم .

والمنهاج صالح لا يزال متي توفرت في الدعاة مؤهلات التربية والتعليم ، يبلغون عن الرسول ، ويحذون حذو عمله الشريف .

خاطب القرآن المكي مدي ثلاث عشرة سنة الإنسان خطاباً قوياً بليغاً ، قال له من بين ما قال : ﴿ **ياأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه . فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً. وينقلب إلي أهله مسرورا . وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا . ويصلي سعيرا . إنه كان في أهله مسروراً . إنه ظن أن لن يحور . بلي إن ربه كان به بصيرا** ﴾ (1) .

وحذره من الاغترار بالدنيا ونسيان مخلوقيته . فتح له بذلك بابا للاطلاع علي سر وجوده ومآله بعد الموت . ﴿ **ياأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم . الذي خلقك فسواك فعدلك . في أي صورة ما شاء ركبك . كلا بل تكذبون بالدين . وإن عليكم لحافظين . كراماً كاتبين . يعلمون ما تفعلون . إن الأبرار لفي نعيم . وإن الفجار لفي جحيم . يصلونها يوم الدين . وما هم عنها بغائبين . وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين . يوم لا تملك نفس لنفس شيئا . والأمر يومئذ لله** ﴾ (2) .

وخاطب الإنسان في سربه الإنساني خطاباً جماعياً فقال : ﴿ يا

---

(1) الانشقاق : 6-15 .　　(2) الانفطار : 6 : 19 .

أيها الناس اتقوا ربكم ، إن زلزلة الساعة شيء عظيم . يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وتري الناس سكاري وما هم بسكاري ولكن عذاب الله شديد ﴾ [1] .

وحذر الإنسان المنغمس مع بني جنسه في ملهاة الدنيا ناسياً آخرته : ﴿ **ياأيها الناس إن وعد الله حق ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ، ولا يغرنكم بالله الغرور** ﴾ [2] .

آيات قوية تحرك الإنسان ليستيقظ من غفلته ، ولينزع عن السلوك العبثي اللاهي ، وعن التظالم والتقاتل بالباطل ، وعن العدوان علي حقوق الغير .

﴿ **ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثي وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير** ﴾ [3] .

مثل هذه الآية ترسم لذلك الأمي ولهذا الإنسان في كل زمان ومكان المسار الأمثل الذي يخطو به من مخلوقيته ومقهوريته إلي تتويج وجوده باختيار العمل الصالح الذي ينال به الكرامة عند الله في الدار الآخرة .

---

(1) الحج : 1 - 2 .   (2) فاطر : 5 .   (3) الحجرات : 1 .

ذكر وأنثي ما اختار أحد جنسه ، ولا استشار أحد متي وأين وكيف يبرز من العدم إلي الوجود . شعوب وقبائل ، ألوان ولغات وتاريخ . وجد الإنسان نفسه مظروفاً مذهوباً به .

وله الاختيار في أن يسخِّر ما منح من قدرات لفعل الخير ، والتعارف مع الأقوام والشعوب ، وإسداء المعروف . وشكر نعمة الإيمان بتبليغ الشعوب والقبائل رحمة الإسلام وبشارة أن الإنسان ما خلق عبثاً .



أية تربية ؟

وكان لا بد لهذا المستيقظ علي صرخات الزواجر ، وعلي ضوء العلم بما هنالك بعد الموت أن يربي علي خصال الإيمان والقوة ليعبر الدنيا وبلاءها وهوسها ، لا تنال منه إن نالت إلا أطراف ما معه ، لا تقتل فيه الروح ، لا تبعثر فيه الجوهر .

وهل يظفر الباحث في السيرة النبوية كما قصها القرآن وكما بلغها من عاشوها ، أنفس وأقدس من المنهاج التربوي النبوي ؟

هذه التزكية التي هي في فعل المربي المعلم المبعوث ما كنهها ؟

كيف كان « يزكيهم » ؟ كيف كانت عملية التطهير تطبق علي الأميين العرب لكي نطبقها علي أنفسنا في هذا العصر وفي هذا المصر ؟

المنهاج نبوي قرآني أنزله شريعةً من خلق الإنسان وسواه وعدله ، وطبقه توقيتاً وعينا وحكمة نبي موفق مسدد في حركاته وسكناته .

المنهاج النبوي التربوي التعليمي جاء من نفس المصدر الذي جاء منه جسم الإنسان وعقله ونفسه وكيانه . بما صلح به الجيل القرآني النبوي الأول تصلح به الأجيال إلي يوم القيامة إن كانت التربية والتعليم قرآنيين نبويين .

أول مـا بدأ به المربي المتلقي الوحي أن شـد عليـه ثيابه لـيقـوم الليل مصلياً قارئاً ذاكرا مستغفراً متبتلاً عابداً .

ثالث ما نزل من السـور أمره تعالي للرسـول ومن معه بقـيام الليل . نقل من زمان الغفلة إلي زمان الذكر .

سألت أيهـا العقل المفتـقر عن معناك وتريد أن تعـرف ؟ قيل لك في أول سورة تزلت ﴿ **إن الإنسـان ليطغي . أن رآه استـغني** ﴾[1] وأنت تخليت عن كبرياء استغنائك بما عندك ، وتريد أن ترجع إلي ربك .

تريد الفلاح وطهارة نفسك . ﴿ **قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها** ﴾[2] . خاب من طمر نفسه تحت ركام الكفر والمعاصي .



(1) العلق : 6ـ7 . (2) الشمس: 9ـ10 .

ليل التبتل ونهار السبح

فمن هنا تبدأ التزكية ! من هنا يبدأ الإسلام . من قلب دولة عادتك . وكذلك تبدأ التوبة الانقلابية .

ثالث ما نزل من السور قوله تعالى : ﴿ **ياأيها المزمل . قم الليل إلا قليلا . نصفه أو انقص منه قليلا . أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا** ﴾ (1).

وقام ﷺ . وقام أصحابه السنوات الطويلة وبقي قيام الليل بالنوافل والتلاوة والدعاء والخشوع مدخلاً ضرورياً إلي عالم التزكي والتطهر والتقدس.

ليس المؤمن المتزكي من يتفرغ ليله ونهاره للسجود والركوع . ذاك عابد هارب من الدنيا ، له مع ربه شأن لا يعنينا منه إلا الإشارة إلي أنه حاد عن المنهاج القرآني النبوي الجهادي إلي الفضيلة الفردية .

المنهاج كما جاء في ثالث السور نزولاً هو: ﴿ **إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قيلا . إن لك في النهار سبحاً طويلا .واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا** ﴾ (2).

ليل المؤمن للتبتل ، ونهاره للسبح الطويل . وهو السعي في حوائجه الدنيوية مثل الكسب ، وحوائجه الأخروية مثل الجهاد . ولا

---

(1) المزمل : 1-4 . (2) المزمل: 6-7.

يفترق شأن آخرة المؤمن عن شأن دنياه إلا اصطلاحا وإلا فكل عمله جهاد يسري في سبح النهار تبتل الليل .

فرضت ناشئة الليل ، وهي القيام والقراءة والدعاء والذكر فرضاً علي المسلمين قبل فرض الصلوات الخمس .

ناشئة هي أشد وطئاً وأعمق أثراً في تزكية النفوس وصقل مرآة القلب ، وتقويم معوجات النفس .

كانت فرضاً في بداية الإسلام ، وهي سنة لكل تائب جاد .

للمؤمن والمؤمنة في يومهما وقتان ليله ونهاره ، متي كان ليله ليل المتبتلين ونهاره نهار المجاهدين فقد استغرق عمره في الطهر .

وإن سَبَحَ الإنسان في غمرة نهار كدحه ولم يخصص مع الصلوات الخمس حصة لقيام الليل ، فيوشك أن يفيض حوض نهاره علي ليله ، فيغمره بالهواجس والغفلات . وإذا هو خارج ميدان الجهاد وخارج ميدان التزكية معاً .

ومن عمم ناشئة الليل علي سحابة النهار، وعكف علي عبادته ، فما لنا أن نشطب اسمه من لائحة المفلحين إن شطبناه من لائحة المجاهدين .

ويسأل قوم مردوا علي النفاق : ما شأن كل هذا الكلام الطويل عن الوحي والعبادة وقيام الليل بالعقل وتحريره ؟

ما هذا المكتوب كتاب جدل يجري معك في مسالكك لتعترف

بكفاءته المنهجية . بل هو للتأسيس والتذكير علي المنهاج النبوي .

نقلة تنقلها التربية من ليل اللهو ونهار السبح الطليق المتسيب إلي زمان مضبوط . نقلة من العمر المبذر العابث إلي حياة ذات معني .





الطهارة

تكتنف التربية الداخل إلي الإسلام بشـهادة الحق ، يطرح عن نفسه بها ألوهيات كانت سيـدة حياته ، ويطرح الولاءات التي كانت تتنازعه ، ويُسلس قيـاده للداعي إلي الله الدال عليه المبـعوث الوالد المعلم . وتلك شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

شهـادة باللسان يعبـر بها العقل عن استسلامه وخـضوعه لخـالقه ، راجـعاً بهـا من تخـرصاته وسؤالاته التي لا جـواب لديه عنهـا إلي تعليم الرسول وتلاوة الرسول .

وتبـدأ التزكية الشاملة ، التطهير والتـبريك والتقديس . يبدأ التطهير بإزالة الخـبث والحـدث . الوضوء بعـد الغسل . الماء يعـمم علي الجـسم بكيفيات معلومة وترتيب ونية .

بالغسل تزال الجـنابة ، هي تلطُّخ يصـيب النفس مـن جـراء فـعل الجسـد . غَبَّرة يزيلهـا عن النفس الماء يعـمم علي الجسـد . المعـاني تربط بالحس ، يزكو مـعني الإنسان المسلم بزكاة جسمه . النية والطاعة واتباع المبعوث المعلم الوالد تعطي هذه الأفعال والتروك اليومية التي كانت عادة معني جديداً ووظيفة جديدة .

النظافـة من الإيمـان . وإن الله طيب يحب الطـيب ، نظيف يحب

النظافــة ، كـريم يحـب الكرم ، جــواد يحب الجود كـمــا جـاْء فى الحديثالشريف .

لكن النظافة لا تكتـسب القيمـة الروحية إلا بالنية وطاعـة الشرع فى الكيفيـات والترتيب . بالنية والاتباع يصـبح الغسل عملية تقـديسية تطهيرية ذات مـغزى روحى . ويصبح الوضوء نوراً يتـخلل الجسم من الأعضاء الخارجية إلى العضو النفسى القلبى .

على الداخل إلى الإسلام من الكفر غـسل ينزع عنه ما تراكم من ظلام الكفر وإباحيـة السـلوك . ولا يدرى التـائب الراجع إلى ربه من غفلة ومعصية ما تراكم علِى نفسه من ظلام المعاصى ، لا سيما إذا كان استهـان إبان جهالته بالأهميـة القصوى للعمليات التـهييئيـة مثل الغسل والوضوء .

وتحـتضنَ التربيـة الإسلاميـة المسلم من جـمـيع أبعـاده ، ابتـداء بجـسمه . ابتداء بالطهارتين الكبـرى والصغرى . مَن ضيع الطهارة أو أخل بشرط من شروطها فلا صلاة له ، ومن لا صلاة له فلا إسلام له .

لهذا كـانت عناية النبى ﷺ بالطهارة كـبيرة . يعلمهم جـزئياتها وكيفياتها المتعلقة بالرجل والمرأة بدقة وتفصيل .

ولهـذا تجـد فى كتب الفـقـه أبواباً ضـافيـة مـخـصصـة للطهـارة وكـيـفـيـاتـهـا ، والبـحث فى الماء الـطهـور ، ومـقـاديـره ، وألوانه ،

وطعـومه ، ومغيراته . ومبطلات الطهارة ، ونواقضها .

نعم ، لا تجـد من أبواب الفـقة فى كـتب سلفنا الصـالح رضى الله عنهم نصف المساحة التـى تشغلها الطهارة مخـصصة لنظام الحكم ، ولا عشـر المساحـة ، ولا جزءاً من مـائة جزء ، ولا تقل أهـمية الشـورى فى حياة الأمة عن أهمية الطهارة فى حياة المسلم وتقديس نفسه وروحنته .

لو جـاءنا النقـد ، وجاءتنا المقـارنة من واحـد سيـاسى لا يقـيم وزناً لشعائر الدين لقذفنا فى وجهه بالإعراض اللائق بالجاهلين أن شيئاً نسميه شورى يتداوله قوم لا يتطهرون إنما هو لعبة وتزوير .

ولو جاءنا النقد من واحد يقارن بحسن نية بين علوم وافرة عن الماء والحـدث والخبث وبين علوم غـائبـة عن العدل والشـورى ونظام الحكم لأمسكنا بيـده حتى ندله على أن تأسـيس إسلام الفرد لا يقل أهـمـية عن تأسـيس إسلامية الحكم . كل فى مقامه ونسبيـة عاقبته . فلو عاش إنسان فى ظل أكمل الأنظمة وأعدلها وأقدسها ، فى عصر النبوة مثلاً ، ثم كان لا يتطهر ولا يحسن الطهارة لكان إسلامه دعوى وزوراً وبهتاناً .

نحـاول هنا أن نضع الأصبع على ملتـقى إسلام الفـرد وإسـلاميـة النظام العـام ، هذا بـدون ذاك بناء على غـيـر أسـاس ، وذاك بدون هذا فتات وغثاء .

وقفنا هنا هذه الوقفة لكيلا تنسف الرياح السياسية السافية أوتاد خيمة الإسلام الفردى فلا نشعر يوماً إلا وقد نصبنا نظاماً سياسياًبلا مسلمين .

بماذا يكون المسلمون مسلمين ، والمؤمنون مؤمنين ، والمحسنون محسنين ؟ بالصلاة التى هى عماد الدين . والصلاة بدون طهارة حركات رياضية إن شئت ، أو عبث واستهزاء بالدين .

طغت المادية الكافرة على العقول المغزوة حتى شاع عند السفهاء من الناس أن الإسلام شرع رياضة عجيبة هى الصلاة ، وحمية ناجحة هى الصيام ، وضريبة هى الزكاة ، وهكذا .

معانى تزكية النفس وتطهيرها من خلال تطهير الأعضاء وتحريكها فى الصلاة والحج والعمرة والخطى إلى المسجد وسائر الشعائر معان غائبة فى الأدبيات الإسلامية .

أهم ما غيبها طغيان الهاجس السياسى طغيانا يماثل طغيان فقه الركود فى أزمنة سابقة .

لو كان النقد جاءنا والمقارنة وردت علينا بما يشبه الاستهانة بالشعائر من خارج حوزة الدعوة لهان الأمر.

سمعت واحداً من علماء الدعوة المبجلين فى ندوة مصورة يتداولها الإسلاميون ينكت على فقه « دورة المياة » .

تعرض للتضخم الحاصل فى فقه الطهارة يحاكمه على الهزال فى فقه نظام الحكم لدى سلفنا الصالح غفر الله لنا ولهم . لكن التنكيت والعبارة المضحكة من رجل يسمع كلامه يوشكان أن تكون لهما أوخم العواقب .

ومن ينكت علينا معاشر سكان هذا العصر لإهمالنا معانى التزكية التى هى عماد رسالة المبعوث ﷺ ؟ ضخمنا المسألة السياسية ونستصغر ما عظمه الله ورسوله وما علمه الوالد المعلم ﷺ بالعناية التى نقرأها فى أحاديثه الشريفة .

أينا أقرب إلى هديه النبوى ومنهاجه ؟ فقهاء الطهارة والورع فيها وعلاجها على كل الوجوه ، أم أصحاب الإسلام السياسى الذى يجلس مزاولوه بعد أذان العصر لتخطيط الخلافة الإسلامية حتى يؤذّن للمغرب ، وهم عن صلاتهم ساهون ؟ ويستهزئون بالدين فيعتذرون أن تلك عبادة وهذه عبادة .



الصلاة

بعد الطهارة الصلاة . الصلاة الموقوتة المحسوبة بركعاتها وسجداتها وقيامها وقعودها وقراءتها وتشهدها وواجباتها وسننها وكيفياتها فى وضع الأعضاء وتسوية الصف وأحكام الإمام والمأموم .

الصلاة طاعة يطيعها الجسم والعقل . الصلاة وقفة العبد أمام ربه يناجيه ويدعوه ويتضرع إليه . نداء المؤذن إليها نفير إلى الفلاح . الصلاة فلاح . من أضاعها وأخل بشرط من شروط اعتدالها واطمئنانها وخشوعها نقص دينه ، وسقط على أم رأسه ولو ناضل بكل ماله وقواه ليقيم فى زعمه الخلافة الإسلامية .

وهكذا الزكاة ، وهكذا الصيام ، وهكذا الحج .

فهذه أركان الإسلام الخمس . أركان بيت دين المسلم . فإذا كان بيت دين المسلمين واحداً واحداً قائماً على غير الأساس المتين من نية التزكي وإخلاص الاتباع ، فدولتك إنما هى قرية نمل .



طعم الإيمان

ويذوق المسلم حلاوة الإسلام ، يزداد ذوقه كلما ازداد حضوراً في عباداته ووفاء بها مكملة معتنىً بها غاية الاعتناء .

هذا العقل الذى وفد على عتبة الفطرة يسأل عن الحق لا يتركه الرب الخالق الرؤوف الرحيم فى قاحلة جفافه . بل يذيقه حلاوة الإسلام . يقتنع بحجة أسمى محتداً من حجة المنطق الفكرى . يأتيه الإقناع من التحول الكياني الشامل النافذ إلى نفسه من مفردات العبادة .

عن كل عبادة جزاء معجل . عن كل سؤال فطرى صادق جواب .

ويرتقى المسلم إلى معارج الإيمان ، فمقامات الإحسان .

يذوق الطمأنينة قلبه بذكر الله ، يذوق حلاوة الإيمان برضاه بالله وطاعته لله واتباعه لسنة رسول الله .

سمع سيدنا العباس رضى الله عنه رسول الله ﷺ يقول : « ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد رسولا » (1) .

---

(1) أخرجه مسلم والترمذي .

واستمعْ إلى بث قلبك أيها المسلم لتعلم متى بدأت تدخل فى تخوم الإيمان .علامة الإرسال ، وعلائم النـور ، أن تذوق طعم الإيمـان . لأن الإيمان يذاق . والذوق يقنعك إقناعاً أعمق وأشمل وأتم مما يقنعك مفكر يطرح عليك وتطرح عليه مزايا الإسلام .

أستغفر الله . بل المطارحة النظرية والجدل عقم وصد عن سبيل الله

صد هى وصرف إلا أن تكون بالتى هى أحسن . والتى هى أحسن أن تتوب وتغتسل وتتطهـر وتصلى وتذكر ربك حتى تلين جوارحك من تخشب العادة ، وتطاوع نفسك من عـناد الكبرياء ، وينطق من أعـماق كيـانك ما يُصَدّقُ أن الصلاة تنهى عن الـفحشـاء والمنكر ، وأن للإيمان طعماً ، وأن الله حق ، والنبوة حق ، والآخرة حق ، وعقلك عندئذ على طريق الانعتـاق من محـنته ، جـاءته المحنة من إعـراضيـه عن الوحى ، أو استخـفافه بالعـلاج الشامل . وتجيئه العافية ، ويجيئه الخلاص ،وتجيئه الحرية من الإيمان والتصديق والعمل .

قل لى ! أعن محنة العقل نتحـدث أم عن الطهارة والصلاة ؟ ما هو العقل ؟ ما هو الإنسان ؟ أهو الجسـم ؟ أهو هذا الغائب الحاضر المعروف المنكر الذى تسميه « أنا » ولا تدرى ما أنا ؟ .

إذا كـان الأنا هو العقل ، وكـان يفـصل بيـن الجـسد ومـا يتقـمص الجسد ، ويصدق حسه ولا يصدق الوحى فمنحته لاتنتهى .

كنف الإسلام

المنهاج التربوى النبوى منهاج فطرة ، لا منهاج إديولوجية . هو منهاج عمل لا منهاج جدل .

تنخرط فى المسجد ، فى الصف تزاحم المسلمين . تنتظر وقت الصلاة ، تتعهد الطهارة . بعد حين يخفق قلبك لسماع الأذان . بعد حين تدخل فيك روحانية المسجد يهدى الله لنوره من يشاء .

يكتنف الإسلام المسلم فى حضن العبادات . جسمه أول ما يتناوله الإسلام.

ويأمره الشرع بحفظ جوارحه . حفظ اللسان عن الغيبة والنميمة والفجور والزور. يتعلم اللسان أن يقول خيراً عندما تكون المقالة إيجابية . ويتعلم الصمت عندما يكون الصمت حكمة . يتعلم فى مرحلة أخرى أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بعد أن يكون الناطق باللسان قد ائتمر وانتهى.

يأمره الشرع بصون الأذن عن سماع البهتان ، وبالإعراض عن هوس القيل والقال .

يأمره بالشرع بغض النظر عن المحرمات ، والاستمتاع بالنظر فى

المصحف وتلاوة آيات الله .

ويا أذن وياعين ما الوسيلة لصونكما فى عصور الأقمار الصناعية ، والتلفزيون على الخطوط ، والألوان والأنغام والفحشاء الممتطية متن الفنون !

يحفظ المسلم البطن والفرج واليد والرجل فى حدود الحلال المباح .

ويحفظ قلبه عن سوء الظن بالله والناس .

ويحفظ عورته باللباس الساتر . للرجل ستره وللمرأة حجابها .

ما يدرى الذين يعارضون حجاب المرأة من الدين إلا ما يدرى الذين يريدون أن يفرضوا الحجاب على المرأة إكراهاً فى الدين.

فى معرض الحديث عن التوبة والتربية ، وانضباط المسلم بالشرع ، وذوق حلاوة الإيمان ، يُعرض على المسلمة الاختيار بين مظهر زائف متزين متشيطن وبين حقيقة الجسم المكرم عند الله إن هو أطاع الله فى الستر كما يطيعه فى الطهارة والصلاة .

ما يفعل جسم حيوانى فى نظر نفسه بستر وحجاب !

أما فى معرض النظام العام والأخلاق العامة ووازع السلطان ، فحجاب المرأة المسلمة من شعائر الدين ، تخجل الشاذة من عُريها

وتبرجها يوم تسود القيم الإسلامية . فإن لم تَخْجَل تُخَجّل .

حفظ المسلم جسمه كلا وجزءاً ، أعضاء بارزة وباطنة . ويحفظ ما يدخل فى جسمه من غذاء . لا يأكل الخنزير والميتة وسائر المحرمات. لا يشرب الخمر. لا يقرب المخدرات والخبائث كالتبغ .

كل ذلك شروط أساسية لتقديس الكيان الإنسانى . كل ذلك من حقوقه الأساسية التى تتأسس عليها حظوته بحقه الأسمى .

الجسم الخبيث للنفس الخبيثة . ولا يدخل الجنة إلا طيبون وطيبات تقول لهم الملائكة على أبوابها : ﴿ **طبتم فادخلوها خالدين** ﴾ [1] .

اللحم النابت من حرام أولى به النار . والأعضاء التى ما ركعت لله ولا سجدت حصب جهنم إلا أن يعفو الله . والجسم المتهور خارج ضوابط الشرع حطب جهنم إلا أن يغفر الله .

علم النبى الرسول المعلم الوالد ﷺ بالقدوة الحسنة . والصحبة فى المنهاج النبوى هى المدخل الضرورى للتربية . صحبة أهل المسجد أساساً ، وصحبة مؤمنين تجلس إليهم ساعة تذكرون الله لتؤمنوا ويزداد إيمانكم هذا هو كنف الإسلام .

---

(1) الزمر : 70 .

طب الوحى وصيدلية النبوة

فى البداية فضل الله وكرمه وعطاؤه لخلقه . خلق سبحانه وتعالى
نسان فسواه ، وقدره وقدر له فهداه . ﴿ ياأيها الإنسان ما غرك
بك الكريم . الذى خلقك فسواك فعدلك . فى أى صورة ما شاء
بك ؟﴾ (1) .

فضله وعطاؤه وخلقه وتعديله وتعيينه للصورة والوقت وظروف
زك يا إنسان من عالم العدم إلى دنيا الوجود ، ثم يحييك ويميتك
عثك وينشرك ويحاسبك ويجزيك ويعفو ويغفر إذ هو الغفور
حيم ، أو يعاقب إذ هو شديد العقاب .

وأنت يا إنسان مكلف بالعمل ، مسؤول عنه . مخلوق
لك .

تناقضٌ أول فى نظر العقل القاصر ، وبلاء وشدة .

ويصيب العقلَ المسلمَ عاهةُ ازدواج النظرة عندما لا يتطابق إدراك
ر العقلى المنطقى مع بصيرة القلب الإيمانية فتنحرف ذات اليمين
ت الشمال عقيدتا الجبر والقدر اللتان شغلتا العقل المسلم ولا
الآن .

الانفطار :6-8

يتساءل القاصر المنحرف الذى لم يقبل بطمأنينة الإيمان تزامن نقيضين عقليين وتراكبهما وتواردهما على محل واحد .

ويقبل العقل المؤمن المفتوح العينين ما جاء به الوحى وما صدر عن النظر العقلى بارتياح يكل أمر ما أبهم على فكره المنطقى إلى ما تجلى لقلبه من حقيقة أن الله أعلم وأحكم . وأن لا تناقض أن يكون الفعل للعبد المكلف والخلق للرب القادر فى وقت معا .

لما ينته الناس من الجدل حول الجبرية وما جنته من تواكل وخمول على المسلمين ، وإنها لعقيدة مثبطة . فيم السعى إن كان كل شىء قد قُدِّر أزلا ؟ سؤال أعور .

ويميل المثقفون القائلون الكاتبون المتتلمذون لمذاهب الاستشراق إلى مذهب المعتزلة القدرية الذين يجحدون ما أثبته الله فى محكم كتابه من أن الله خلقنا وخلق أعمالنا .

وهذا ميل أشد عوراً .

ندخل لموضوعنا فى طب الوحى وصيدلية النبوءة مشيرين على من يشكو من ازدواج النظرة أن يراجع الطبيب ويستعمل من صيدلية الوالد المعلم .

الهداية منه سبحانه وتعالى ، يشرح صدر من يشاء من عباده للإسلام ، ويغمره بنور الإيمان واليقين كما قال جل وعلا : ﴿ **فمن يرد**

ه أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره يقاً حرجاً كأنما يصعّد في السماء ، كذلك يجعل الله الرجس على ين لا يؤمنون ﴾ (1).

والطلب موجه إلى العبد في نفس الوقت أن يغير ما بنفسه ﴿ إن ه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ (2).

لا تناقض في نظر من له عينان .

والسؤال العملي النافع هو : كيف أغير ما بنفسي فأتوب ليتوب ه علي ؟ أو يطرح السؤال عكساً : كيف يتوب الله علي لأتوب جزاء رضى لعطائه بالإقبال عليه ؟

يؤول السؤال إلى معرفة كيف يشرح الله الصدور للإسلام وكيف ذوق المسلم حلاوة الإيمان . وقد ذكرنا أن النبي ﷺ أخبر أن طعم يمان يذوقه من رضي بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولا .

الرضى حالة نفسية قلبية . شعور قلبي واقتناع يشمل الكيان لإنساني أجمع ، عاطفته وعقله وحركةَ جوارحه .

أخبرني أيها الطبيب كيف الفوز بالرضى والطمأنينة ؟

سريرياً كما يقول الطبيب ؟

---

1) الأنعام : 186 . (2) الرعد : 12 .

ويجيب الوحى على لسان الوالد المربى المزكى المعلم ﷺ كما روى الشيخان عن أنس : « ثلاث من كن فيه وجد بهن طعم الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما . ومن أحب عبداً لا يحبه إلا لله . ومن يكره أن يعود للكفر بعد أن أنقذه الله منه ، كما يكره أن يلقى فى النار » .

من أدركوا الرسول الوالد ﷺ قد دخلوا إلى حب الله بحب رسوله . رسول رؤوف بالمؤمنين رحيم ليّن مجيب . ووجدوا طعم الإيمان .

ولكل جيل بعده واسطة هذه الثلاثية . أن يحب سائل الفطرة عبداً لا يحبه إلا لله . وأن ينخرط فى المسجد مع مؤمنين يحبهم فى الله .

يتجسد هذا الحب شيئاً فشيئاً لدى الوارد على المسجد المتعطش للإيمان . صحبة أهل المسجد ، وقدوة أفراد من صالحى أهل المسجد، يحملانه على جناح صدقه ونية إقباله على الله إلى حيث يوجد طعم الإيمان .

الصلاة معهم خمس مرات فى اليوم . ومجالستهم ، ومعاشرتهم ، والتعاون معهم . ويسرى الحب فى الله بإقناع شمولى يشارك فى العقل المنفتح والمشاعر والأشواق . لا يستبد العقل بجفافه المنطقى ولا يلتف فى عباءة أنانيته .

هذا شرط . إقبال كلى لا فضول فكرى .

ومن هناك يكتسب الوارد السائل المتفتح الصادق مزيداً من الإيمان بتطبيقه لحمية الطبيب وتناوله لحبات العلاج ومفرداته .

فى القرآن الكريم وفى السنة النبوية عشرات من الرحمات . عشرات من الجزاءات المشروطة : من فعل كذا فله كذا .

وجد طعم الإيمان جزاء معجل ليثبت الطالب على مسيرته ويتقدم . وليس ذوق الإيمان وطمأنينة النفس بذكر الله على نفاستهما إلا مقدمات وعربوناً على القصد الأسمى الأخروى .

يسمو قصد من جاء إلى عتبات الطب النبوى درجة درجة . يسأل الله خيراً بعد خير ، ثم تعظم ثقته بالكريم الجواد سبحانه فيسأله خير الدنيا والآخرة .

وفى صيدلية النبوة أن من فعل ذلك حتى غلب عليه الدعاء والطلب والثقة الصادقة يعطى ثم يعطى .

روى الترمذى حديثاً حسناً عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من أوى إلى فراشه طاهراً يذكر الله حتى يدركه النعاس ، لم ينقلب ساعة من الليل يسأل الله من خير الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله إياه » .

ثم يسمو قصد الصادق المشمر عن ساعد الجد والاجتهاد والجهاد ، فيطلب بعد عافية طعم الإيمان ، وصحة خير الدنيا

والآخرة ، مزية الدخول فى كنف الرعاية الشاملة والعناية الضافية .

تتقدم إليه الشروط على لسان الترجمان النبوى القائل ﷺ فيما رواه مسلم عن أبى ذر: « يقول الله عز وجل : من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد ، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر ، ومن تقرب منى شبراً تقربت إليه ذراعاً ، ومن تقرب منى ذراعاً تقربت منه باعاً ، ومن أتانى يمشى أتيته هرولة ، ومن لقينى بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بى شيئاً لقيته بمثلها مغفرة » .

الله ! الله !

يثق أحدهم بطبيب مختص ، ويثق بالدواء المختص . حبة صفراء ، بعدها بأربع ساعات حمراء ، وأخرى فى المساء .

ويستسلم ، ويسلم بين يدى طبيب يعرف لما أحس فى جسده بألم المرض وعانى من أوجاع الكلية والقلب . ولو أمره الاختصاصى بمتناقضات الألوان لما التفت عن ثقته به .

ولا يثق بأن هنالك طباً للقلوب وشفاء لما فى الصدور إلا من أيس من تهويمات فكره ، وتسكع حركاته فى الحياة ، وبؤس حيوانيته ، وأصاخ يوماً ، أو ساعة ، أو لحظة لنداء «حى على الفلاح » .

والمنهاج الطبى كما يصفه القرآن وتصفه السنة : من فعل كذا

فله كذا ، وأنـت تغير مـا بنفسك ليغير الـله ما بك . أنت تتقـرب منه بما رسم لك ووظف عليك من طهـارة وصلاة وزكـاة وصيـام وحج وذكر وأعمال صالحات .

أنت تتقرب شبراً شبـراً ، والمولى يضاعف الجزاء ويطوى المسافات

وأنت أيها الأنا العقل على طريق الانعتاق من محنتك .



فلك ومدار

لكن الإنسان يطغى أن رآه استغنى . عقل صنع نفسه فى اعتقاده بصراعه مع الطبيعة وتطويعها وركوب متنها ، أين منه الالتفات إلى أن سعيه فى الحياة عبث ما دام هو لا يعرف لنفسه هدفاً أسمى من اللذة والمتعة و « الجنس » والمنفعة والأنانية ؟

أنى له أن يدرك أن قناعته بمرتبة الحيوانية بؤس ما أشد كلوحاً منه بؤس ؟ وأن شقاءه بالكدح الفارغ من المعنى ما مثله شقاء !

عَقْلَنَ الطبيعة ورجع على نفسه يعقلنها ، وبَتَرَ من ذاته الشطر الأهم بل الكل فى الكل ، إذ جهل كرامة الإنسان وحقه الأسمى فى معرفة الله والاستعداد لسعادة الأبد فى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين .

تَرَكَّزَ العقل العفريت المصارع على نفسه وهواه شده إلى مدار فارغ .

يدور العقل المسلم حول شمس الوحى متعرضاً لضوئها مستشفياً من أشعتها . والعفريت كفر بكل دين بعد أن خَبَرَ من « أسرار » الكنيسة وفضائحها ما زهده فى كل دين .

ما أسرع ما رجع عقل المسلمين الأول من الشرك الساذج الذى

كان يصنع آلهة من خبز يأكلها عند الحاجة .

أما عقل « التنوير» اللاييكى فقد شاهد الكنيسة وهى تصنع إلهها صباح مساء ثم تأكله وتُلْقِم حجراً كل من سأل عن « أسرار » لا يمكن للعقل غير المقدس فهمها .

كان الكاهن ، ولا يزال ،يصنع إلهه عند الحاجة ويُطعمه الناسَ . تسمى هذه العملية العجيبة « أوكارستى » يأخذ الكاهن خبزاً مخصوصاً وخمراً «فيقدسهما » ، فإذا الخبز لحم الإله والخمر دمه ، ويطعم ربه من يشاء.

كيف لا يضحك العقل المخترع من هذه الطفوليات المبكية ؟

وكيف لا يبحث العقل المخترع الفيلسوف عن مدار يرتكز عليه بديلاً عن تبعيته لكنيسة مشعوذة ؟

على رأس الكنيسة كان آلُ بورجيا . الاسم وحده له فى التاريخ فَوح الفضيحة التى لا تكتب .

وفى محارق الكنيسة يلقى « المكتب المقدس » وقوداً بشرياً كل يوم لمدى ستة قرون .

وكما مَرَدَ قوبرنيق عن عقيدة الكنيسة فى الفلك وأثبت أن لأرض تدور حول الشمس ، كذلك تمخضت فلسفة الأنوار عن

قوبرنيقية فلسفية حين قلب كانط المفاهيم وصَدّر العقل فى مركز الوجود، يدور حول العقل كل شيء. طاحون الثقافة العالمية كما يحتل العفريت من الجن شخصاً يتخبطه من المس.

استيقظ العقل المارد، واستغلظ بخيله ورَجله من الاختراعات فهل يجدى فى صرعه والتلقيح ضد جرثومته والشفاء من مسه طب الوحى وعلاج النبوة؟

وصدّر شوبنهاور الإرادة، جعلها مركز كل شيء. نترجم إلى لغتنا فنقول: إنه الهوى يعبد صنماً معنوياً بديلاً عن أصنام الكنيسة.

وصدّر الفيلسوف المجنون نيتشه الهوَى، قدمه فى الاعتبار على حب المعرفة. إرادة القوة عنده هى البديل الوحيد «لأخلاقيات العبيد» التى أثلتها قرون من الاستبداد الفكرى والقمعى والانتهازى للكنيّسة.

صراعيا كان الفيلسوف المجنون الذى مد ظله على الفكر المارد. صراع هو الوجود بين الحياة والموت. والتطلع إلى «السوبرمان» هو الطموح الإنسانى الأمثل.

كان العقل الذى أسلم بين يدى الوحى على عهد الرسول ﷺ عقلاً ساذجاً لما يستغلظ بإنجازاته الحضارية. فدار حول فلك الوحى فى عافية. واستشفى وصح وأشع الكمال على البشرية حيناً من الدهر.

وها هى دورة الزمان تجد العقل المسلم الموروث لا يزال متشبثاً بإسلامه ، لكن أمامه العقل الآخر الذى احتل العقول المطحونة فى طاحون الثقافة العالمية كما يحتل العفريت من الجن شخصاً يتخبطه من المس .

استيقظ العقل المارد ، واستغلظ بخيله ورَجله من الاختراعات فهل يجدى فى صرعه والتلقيح ضد جرثومته والشفاء من مسّه طب الوحى وعلاج النبوة ؟ .



الإسلام دين جماعة

من خطوات التائب العائد إلى ربه السائل عن معنى وجوده تبدأ المسيرة الظاهرة ، من خلفها العناية السابقة الإلهية .

يؤيد هذه الخطوات ويسددها نور العبادة وتثبيت الحق سبحانه . ويعضدها الفعل الطبى الناتج عن تعاطى الأمر والاحتماء من المنهى عنه .

﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ (1) .

وكل طاعة تنور العقل ، من الطاعات ما يذيق طعم الإيمان . ومن قواعد التطبيب والتربية الانخراط فى سلك الجماعة بالمسجد .

المسلم ينهى نفسه ، يمسك بتلابيبها ، ويزجرها ، ويحاسبها ، ويحملها محامل الصدق والجهاد .

وتنهاه صلاته ، وتنهاه تقواه .

وينهاه غيره من المسلمين لواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . ويتعاون مع المسلمين على التقوى .

﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فإن الجنة هى المأوى ﴾ (2) .

---

(1) العنكبوت : 45 (2) النازعات : 39 , 40

﴿ وتعاونوا على البر والتقوى . ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ [1] ، **﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ، إن الله عزيز حكيم ﴾** [2].

يتخذ المؤمن نفسه موضعاً للإصلاح والتقويم كيلا يلقى الله وهو مَعِيبٌ مشوه الخلقة المعنوية . ينهى النفس عن الهوى ويأمرها بالتُّقى .

ويتعامل فى الجماعة بالعملة المتداولة : الحب والصدق والعلم . إلى خصال أخرى من خصال الإيمان وشعبه .

هو يحاسب نفسه بصرامة لأنه لا يغش إلا نفسه إن جاملها وهم يرفقون به بداعى المحبة ، لكن ينصحونه بما يتحمل إلى أن يحمل عبء نفسه ، ومراعاة التلطف حكمة دائمة ، وسنة قائمة . **﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله ، إن الله يحب المتوكلين ﴾** [3].

المؤمن الوارد على الجماعة المؤمنة يجد فى إصلاح نفسه وتقويمها

---

(1) المائدة : 3 . (2) التوبة : 72 . (3) آل عمران :159 .

ونهيها عن الهوى منذ يستقر لديه أن فلاحه فى الآخرة يتوقف على إتيانه أمام ربه بقلب سليم . فهَمُّه مُنْذئذٍ أن يتطهر ويتزكى باطناً كما يتطهر ويتزكى ظاهراً .

يتزكي ويتطهر ويتقرب إلى الله شبراً شبراً وذراعاً ، ذراعاً وحقه على إخوته ، وحقها على أخواتها ، وواجبهما عليهم أن يعاون كلٌّ كلاً على قطع العلائق مع ماضى الغفلات ، وعلى قطع المسافات .



مراتب وسباق

قلت : « قطع المسافات» مجازاً . لأن الله عز وجل ليس بينه و..ر عباده أشبار وأذرع ، إنما هو تعليم وتقريب مؤداه أن يتصور المؤمن والمؤمنة أن هناك سيراً وتقدماً . وليشعرا أن الأمر سباق بين من يجتهد ومن لا يجتهد ، ومنافسة بين من يجد فى السير ومن يتلكأ ، منافسة حث الله تعالى عليها فى مثل قوله : ﴿ **فاستبقوا الخيرات** ﴾ (1) ، أو فى قوله :﴿ **وفى ذلك فليتنافس المتنافسون** ﴾ (2).

لا يتصور المسلم الراكد المنعزل ، ولا الجاهل ، أن الدين مراتب : إسلام وإيمان وإحسان ، ولا يشعر ، ولا يتحفز لاجتهاد فى إصلاح نفسه واستباق الخيرات ليفوز بالقرب من الله .

يمدح الله سبحانه من العباد من أصبحت له إلى الله حاجة ملحة صادقة عاملة مجتهدة أن يتقرب ويسابق . فهو يدعو ويتضرع ويبتغى إلى ربه الوسيلة . ذاك اجتمع شمل همته وتوحدت قبلة قلبه . قال تعالى : ﴿ **أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه** ﴾ (3) .

ذاك عقله وأناه الكلى فى طريقه إلى العافية والسراح من المحنة .

مزايا لا تعوض للتعاون بين أعضاء جماعة المؤمنين .

---

(1) المائدة : 50 .   (2) المطففين : 26 .   (3) الإسراء : 57 .

محاذر الانكفاء

وبموازاتها محاذر.

من المحاذر أن ينصرف الوارد والمستقبلون إلى إصلاح أنفسهم والتمتع بدفء المودة وجو الصفاء وألفة العشرة فينكمشوا عن الوظيفة الدعوية، ويتقلصوا وينزووا في حلقة مغلقة.

وذلك ضمور في الفهم وعلة في العقل وشلل في العمل. خارج المحضن التربوي لفح مجتمع الكراهية، ومنكرات القول والفعل، وتجهم الدنيا وأبنائها وبناتها. فيحجم الوارد والمستقبلون عن اقتحام عقبات خارجية مكفهرة شديدة المراس ويركنون إلى دعة التقوقع.

أو يتغذون زماناً في منعزلهم بتزكية النفس تلك التزكية المكروهة المنهي عنها في قوله تعالى: ﴿ **فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى** ﴾[1].

التزكية المكروهة المنهي عنها الذميمة هي اغترار العامل بعمله، والمصلي بصلاته، والملتحي بلحيته

يتغذى المزكون لأنفسهم بغرورهم زماناً سوداوياً حتى يغشي

(1) النجم: 31.

أعينهم منظارٌ يُريهم الناس جميعاً هَلْكى وهم الناجون ، ضالين كلهم وهم المهتدون ، كافرين كلهم وهم المؤمنون .

ويخرجون بعدئذ نقمة على البلاد والعباد.

أى الفريقين أبعد من الهَدْى النبوى والمنهاج التربوى : المنكمش على نفسه الهارب من لَفح الواقع ، أو العادى على المجتمع الهاجم عليه ؟



تدريب الدعاة

تقتضى الاستقامة ، ويقتضى الاتباع للهدى النبوى ، أن يكون الرباط فى حضن التربية مرحلة تهيئية لتدريب الدعاة على بسط الوجه واليد ومادة الرفق وكلمة الخير وبشارة الفرح على المجتمع قاطبة .

وظيفة الجماعة الصغيرة التربوية المنظمة أن يسرى هديها فى المجتمع قاطبة ، وأن تُحَبَّ مجالسها ، ويُسعى إلى مسجدها ، وتُقبل قيادتها .

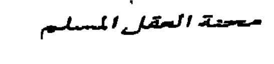
متى انزوت الجماعة الصغيرة أو هجمت أو كفَّرت فقد قطعت نفسها عن جسم الأمة بتزكية للنفس كريهة ذميمة ، وعقُمت وحكمت على نفسها بالبوار . ربما يكون المنزوون المنعزلون أقرب إلى السلامة .

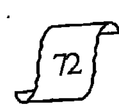
خارج المحضن التربوى لَفْحُ مجتمع الكراهية ، وخطر الذوبان فى محيط زاخر بصخب الحياة ، وأفكار الجاهلية ، ومثبطات الفتنة ، والدخول فى معمعان الصخب والأفكار المتضاربة والفتن الثائرة جزء من تدريب المجاهدين ، و عقبة من عقبات سلوكهم ، وتجربة لظهور صبرهم هل تحمل هذه الظهور عبء هموم الأمة .

قال الله تعالى : ﴿ **وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيراً** ﴾ (1) .

---

(1) الفرقان : 30 .





وفى الحديث الشريف أن من يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم .

ينتظر المؤمنين والمؤمنات واجب مواجهة العقلية الأخرى بعد اكتساب الشجاعة من مواجهة النفس ، وحمل النفس على الجد والجادّة .

ما ينتظرهم الصمود أمام مميعات العقيدة ومذيبات الفضيلة .



مهنة التمريض

سمعت أمس على المذياع ندوة شارك فيها بروفيسورات متخصصون . أو نقول : « بروفسورون » لنجمعهم جمع مذكر سالم .

سالم أو سليم . السليم فى لغة العرب من لذغته أفعى عافاكم الله . سموه سليماً تفاؤلاً ورجاء .

تكلم البرفسورون فى ندوة عنوانها « السحر الدينى » .

والعنوان عندهم لا يعنى طعناً على الدينَ لأن فيه سحراً ، ولا تنقيصاً للسحر أن لم يكن سحراً لا ييكياً .

البروفسورون صنف من المثقفين عالميى الأفق ، يرطنون عدة لغات ، لهم قنوات مباشرة بمعاهد الأبحاث ذات الشهرة الكبرى ، متفتحون على أفكار الغير .

متفتحون يتحدثون بإشفاق وسعة صدر أبوية فكرية متفهمة محترمة لوجهات النظر جميعا .

الإسلام والشيطان تابعان فى سديم العقل المثقف العالمى لحكم هذا العقل المثقف العالمى . يتجاوز فى محكمته الإسلام المقدس والشيطان المقدس .

بينما يتشدد المثقف المحلى الذى يأخذ زاده الفكرى بوسائط ، يتساهل المثقف العالمى المتمكن الراسخ ، ويحترم الخصوصيات ويجمع فى عطفه وتسامحه الأبوى المتناقضات .

بينما يحارب المحلى الخرافات والعقلية الغيبية والدين من خندقه التنويرى اللبرالى اليمينى أو اليسارى الثورى ، يفتح العالمى ذراعيه « للمقدسات » جميعاً .

المثقف المحلى يحارب أوهامه كما كان الكيخوطى يحارب طواحين الهواء ، والآخر متمكن ثابت أعد لكل وهم وحقيقة وخصوصية وشاذة وفاذة مكانها المريح فى معرض نسبيته ودراساته المقارنة المتعالية فى فلك مشرق .

فرسان واهمون هم المثقفون المحليون كما هو واهم بطل صرفانطس سوى أن الكيخوطىَ ذو قلب كبير وطيبوبة مع شىء غير قليل من البلاهة، وهؤلاء أغبياء تقليد أشربوا فى قلوبهم كراهية المقدسات جميعاً ما هو منها مقدس إلهى ، وما هو منها متَحرِّم بثياب الدين ، وما هو شعوذة وسحر وشيطنة ، كل ذلك عند المحلى رجس وكنيسة .

ويتكلم البروفسورون عن الشيطان المقدس ـ يسمونه روحاً ـ الذى يحضر فى حفلات الزار التى نسميها فى المغرب « دردبة » .

وما شئت من مقارنات بين الشيطنة المحلية المقدسة وبين مثيلاتها فى

الصينِ والبرازيل . ماشئت من كلام مُوَثق مُرَجَّع لأصوله الإثنوغرافية ، ومنابعه الإفريقية ، وطقوسه المحترمة ، ودلائل على صحة تجاربه ، وشفاء مرضاه ، وموسيقى حفلاته ، وذبائحه المقدسة المحترمة .

كيف يخرج المؤمنات والمؤمنون من مسجد تربيتهم ومجالس إيمانهم إلى مجتمع يعج بالخرافات ، ومقدسى الخرافات ، ودعاة الزنا على رؤوس الأشهاد ؟ .

بعضهم يدخل المسجد كالإعصار ، يبدع هذا ويبطل صلاة ذاك وينفر ويعسر . وبعضهم صامت ناكص . فبأى إقدام حكيم تخاطب أصناف البشر دون أن تتخذ نغمة توفيقية متنازلة منهزمة ، ودون أن تعدوَ وتتشنج وتمزق أحشاءك كمداً وعجزاً ؟ .

ولعل فى القوم قلوباً كبيرة لا تكون معها البلاهة ، بل النباهة وقبول الحق إن نطق بالحق حكماء .



تجارة الدنيا والآخرة

حارث لآخرته ، ينام طاهراً ويتقلب فى فراشه يسأل الله من خير الدنيا والآخرة ، ويعمل من الصالحات ما يتحقق به شرطه فى تجارة « من فعل كذا فله كذا » .

كان عبد الله بن جعفر إذا أسدى معروفاً لطالب وأدى حقاً من الحقوق يقول لصاحبه : « مرحباً بمن يحمل زادنا إلى الآخرة ! » .

لا يتقرب عبد من الله الودود سبحانه إلا بما شرع فى محكم كتابه أو سنة رسوله ﷺ من الوحى . وقد أذن سبحانه لعباده أن يسعوا فى تجارة الآخرة ، ودل على ذلك فى قوله الكريم : ﴿ **يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ، ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين** ﴾ (1).

يقول المتعلم فى مدارس الآخرين : « هذه أخلاقية نفعية ، أخلاقية الأجراء . باعث منحط أين هو من فعل الخير للخير ! »

---

(1) الصف : 10 ، 12

اعتراضُ أخلاقية مفتوحة على الفضاء. لا تؤمن بالآخرة. ولا تتعرف على رخصة وضعها الله سبحانه على مدرجة المؤمنين.

فعل الخير للخير، وعشق الجمال والعدل للجمال والعدل. إنما هى مثالية أفلاطونية تعبر عن تعنت ضد الدين، أو تبوح بضيعتها وسط الماديات والنفعيات والمكيافليات السائدة فى عالم السياسة السيطرية وحقوق الإنسان المسترَقّة للإنسان تحت غطاء القانونية الدولية.

فى حجر التربية والتدرج فى التزكية ينتقل الناشئ والتائب من حضيض حب الدنيا وزينتها، ومن السعى فيها إلى اللذة الأنانية، إلى طلب الآخرة والسعى لها سعيها. وهى نقلة فارعة. من تجارة الدنيا إلى تجارة الآخرة ينتقل. مسافة وأية مسافة.

وهى رخصة من المولى سبحانه، يتجاوز سبحانه عن التفات العباد إلى أعمالهم، واعتمادهم عليها، وتعاملهم بما أوحى به من شرطية « من فعل كذا فله كذا ».

يُرجى من كرمه سبحانه أن يرفع العبد من هذا الالتفات إلى معارج الاعتماد على فضله سبحانه، والخوف منه والرجاء فيه. لا يرى من نفسه إلا التقصير، ولا يزيد بهذا الشعور إلا اجتهاداً وتعبئة لكل قواه ليزداد من الخير.

فى هذه المرتبة من الرقى الروحى يطلب المؤمن أن يكون عبداً لله

خالصاً ، بعد أن كان باعثه باعث أجير ، نِعْمَ أجير الله الكريم ، يضاعف الحسنة ويزيد . وفضله أوسع ، وقربه أرفع .

يغيب عن مقلة قلبه في هذه المرتبة الجزاء . يبكى على خطيئته وتقصيره حياء من ربه وخوفاً ، ويجاهد شكراً . يسأل الله الجنة لأن الله حببها إلينا وبالغ فى وصف نعيمها، لكن قصده القرب من ربه . والجنة مثوى للمقربين ، درجاتهم فيها الأعلى ، وأعلى نعيمها النظر إلى المولى .

مؤمن أصبحت له عند الله حاجة ، أصبح وجه الله مطلبه ، وحب الله باعثه ، والطريق المستقيم إلى المرضاة والقرب الجهاد .

فيرجع هذا العبد المترقى فى سلم الإيمان والإحسان إلى ميدان العمل . ينزرع مشروعه فى مشروع الجماعة ، ويتزاوج طموحه الفردى الأخروى مع الطموح الجماعى لهذه الأخرى التى نحبها ويبشرنا بها كتاب الله : نصر من الله وفتح قريب .



باعثان : واجب وحق

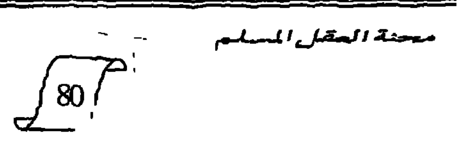
الخير كله بيده سبحانه ، والشر كله ليس إليه . والمؤمن المطمئن إلى ربه يبذل ، ويعطى ، ويجود بماله ونفسه ، ويسارع إلى إعطاء الحقوق ذوى الحقوق ، واجباً يتخفف من مسؤوليته ، وزاداً يتزوده لآخرته ، لا حقوقاً تنتزع منه بقانونية بشرية.

لا يستوى الباعثان : باعث المؤمن المؤدى ما عليه من واجب ، وباعث المراقب لقانونية البشر وعقوباتها ومكافآتها ، عينه على حقه .

ولا يتشابه نظام الحقوق بين المذهبين ؛ لأن البناء النفسى العقلى مختلف اختلافاً جذرياً بين المؤمن والكافر.

جماعة المسلمين وأخوة المؤمنين شىء آخر غير الروابط الاجتماعية الوطنية القومية الدستورية المصلحية . لجماعة المسلمين وأخوة المؤمنين ضوابط شرعية تحمى الحقوق ، وتذهب الشذوذ والمروق ، والدافع إلى الإخلاص والتوفية والصدق حرص المسلم والمؤمن على آخرته ، ونقاوة سجل يلقى به ربه .

عن إسلام الصادقين نتحدث لا عن الإسلام الموروث التقليدى الراقد فى حجر اللامبالاة .



فى مجتمع العمران الأخوى المنشود ، المسبوق بتربية وتزكية وتعليم ، يستنبط المسلمون دستور سلوكهم فيما بينهم وعهود تعاملهم مع الخَلْق الدولى ، والخلق الطبيعى ، والبيئة المشتركة ، من القرآن كل القرآن ، ومن السنة كل السنة .



انطلاقة الفضائل

ومن المسجد تنطلق الفضائل ، وتتوحد الجهود ، قبلة واحدة وقرآن واحد ، وإرادة متعاونة ، وعبء مشترك . خمس صلوات تجمع ، وجمعة وخطبة ، ونظام لا يتقوقع فى الذات الخاصة ، وسريان الدعوة من الأقرب إلى الأقرب .

فى المسجد يعقد لواء الجهاد ، ومن قدسيته وجامعيته يكتسب الميثاق قدسية وجامعية .

والصدقَ الصدقَ ، والعلم العلم بما لك وما عليك ، وما لنا وما علينا مما يقربنا إلى الله زلفى .

عالم آخر غير عالم يعتبر الشك المنهجى فضيلة ، ويتخذ الأنانية ديناً ، ويدور فى فلك الاستقرار على القانون الوضعى المؤسس على أن لا إله ولا آخرة ولاخوف ولا رجاء إلا من عجزك عن انتزاع حقك أو قدرتك على فرض إرادتك .

من المسجد يخرج المؤمنون وقد عقد كل واحد مع الله عقداً ، ووثقوا فيما بينهم ميثاقاً . يخرجون وليلهم ليل المؤمنين ، ونهارهم نهارهم ، وعهدهم عهدهم ، وأخوتهم أخوتهم ، وكلمتهم صدق ، واتفاقهم عزم ، وشوراهم دين ، و قيادتهم مشتقة من طاعة الله ورسوله .

مع المؤمنين تحرث الصدق تحصد الصـدق ، ومن يستثمر الشك لا يربح إلا الشك مضاعفة غـلاته . اضرب الشك فى الشك يخرج لك الكفر ولواحقه .

﴿ والذى جاء بـالصدق وصدق به أولئـك هم المتقون . لـهم ما يشاؤون عند ربهم ، ذلك جزاء المحسنين ﴾ (1) .

يخرج المؤمنـون من المسجد مـتعاقـدين مع الله ، متـواثقين فـيـما بينهـم ، متعاهدين نصاً ووجـوباً على تحرير الإنسان وتكريم الإنسان ، وتحبيب الإسلام إلى الإنسان .

ويخـرجون باللواء المعـقود والميثاق المعـهود ليعالجـوا ما زُحـزح المسلمون عن مـواقعهم ، ومـا نسوا من تلاوة كتـابهم ، وما ضيـعوا من تزكيـة نبيـهم ، وتعليم والدهم ﷺ ، يخـرجون لِلَمّ شـعـث ، وجـمع شـمل ، وإعـداد قـوة ، وتربيـة أجـيال ، تربية أجـيـال القـوة والأمـانة والجـهـاد ، تحـمل آلام العالـم وآماله ، وتحـتـضن الإنسـان برفق الداعى وبذل من يقدم لآخرته ويرجـو بِبِرّ خلق الله جميعاً رحـمة الله والقرب من الله .



(1) الزمر : 32 .

الكرامة الإنسانية

يخرجون للعالم ببشرى ﴿ ولقد كرمنا بنى آدم ﴾ [1] .

ويتمسكون فى أنفسهم بواجبات كرامة الإنسان ، بفروضها ونوافلها وعامها وخاصها وعزائمها ورخصها وشرعتها ومنهاجها .

أول الواجبات وأقدس ما يكرم الإنسان إفراد الله بالعبادة قال المجاهد فى ديوان رستم قائد الفرس فى العهد الأول : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .

قالها جندى من جند الله كلمةً من ورائها قوة صاعدة فى عنفوان انطلاقتها .

ويسمع منا العالَم هذه الكلمة إن تقوينا بنصر الله وبوحدتنا وبإقامة عمران أخوى نموذجى يغرى الإنسان بنظافته وعدله ورخائه وإنسانيته وكرامة آدميته .

كلمتنا النموذجية المغرية الجذابة الداعية المحررة العلمية المتجسدة فى كيان يتوحد لتصبح الأمة الإسلامية واحدة كما أمر الله ، كلمة

(1) الإسراء : 70

تنبثق من كتاب الله وسنة رسوله ، تنبثق بنداً واجباً يخاطب الإنسان ، كل إنسان ، بحقه بنداً باعثه الإيمان بدل بنود يفرضها القوى على الضعيف .

الإحسان إلى الوالدين واجب مؤكد يأتي في السياق القرآني مباشرة بعد واجب التوحيد . أى ضياع هو ضياع المنبوذين والمنبوذات في دور العجزة في أوربا الحضارة وأمريكا القوة والثروة !

إيتاء ذوى القربى من آكد واجبات التكافل الأخوى . لذى القربى في النسب حق . وللمسكين حق . وللسائل بحاله أو مقاله حق . ﴿ **وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل** ﴾ (1).

هذه الثغرات في البناء الاجتماعي العصرى الحقوقي القانوني لا تسدها الدولة إنما تسدها اليد الحانية المحبة القريبة المتقربة بأنواع البر والمعروف إلى المولى البر الرؤوف الرحيم .

المجتمع العصرى بارد إنسانياً ، لا يزداد فيه الأثرياء إلا أنانية ، ولا البؤساء في دور العجزة وشوارع نيويورك إلا بؤساً .

الإنفاق على الغارمين جهاد من الجهاد .

والأمة في غُرم قانوني ، تطوقنا بقانونيتها الرأسمالية العالمية المديونية تخنقنا . الربا المضاعف المخزى ، الوصمة في جبين

(1) الإسراء : 26 .

الإنسانية ، صنم معبود فى هياكل العصر .

الفائدة ، ودفع الفائدة ، والقرض لدفع الفائدة وفائدة الفائدة ، وشروط الصندوق الدولى والبنك العالمى . هذه بنود حقوقية محترمة جداً ، شريفة جداً ، فى ميثاق الأمم المتحدة .

التبذير من عمل الشياطين . أضفه إلى شيطنة الرأسمالية وربويتها لتجد معادلة إفلاس المستضعفين فى الأرض وفى مقدمتهم المسلمون . كم حاكم تساوى ودائعه فى أبناك الحضارة الربوية ديون بلاده .

التبذير وسرقة أموال المسلمين والمسلمات أشد على المسلمين من الكوارث المرسلة . والتنمية حصيلة ممتنعة ما دام قاع الإناء مخروماً .

تقول للإنسان حسنا من الدين ، تربى الطفولة وترأف بها وتلقنه مبادئ الإيمان والمروءة من الدين .

كل راع مسؤول عن رعيته بند من بنود واجبات الإنسان وحقوقه .

التآمر بالمعروف والتناهى عن المنكر واجب وحق .

الشورى والعدل فرض مفروض .

البر بمن تعرف ومن لا تعرف من إنسان وحيوان وشجر وأرض وبيئة فضيلة مرفوعة ، وقد دخل رجل الجنة فى كلب سقاه ، ودخلت

امرأة النار فى قطة حرمتها .

من بنود الواجبات الإسلامية النهى عن المنكر والتعاون على حربه .

لاتشرك بالله ﴿ **إن الشرك لظلم عظيم** ﴾ [1] أول ما يتواصى به المسلمون . ثم لا تعق والديك ، ولا تشهد الزور ، ولا تفر من ساحة الجهاد ، لاتسرف ،لاتكذب ، لا تنافق .

لا تقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، لا تزن ، لا تقرب الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، لا تقرب مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن ، لا تطفف المكيال والميزان ، لا تكل بمكيالين فذاك حرام .

﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً** ﴾ [2] من هنا تبدأ مسؤولية كل مسلم ومسؤولية الدولة المسلمة حق الإسلام لتقرأ فى القرآن كله والسنة كلها ما فرضه الله على كلٍّ من مسؤولية وواجب وفرض وعين وفرض كفاية ، وعدل وإحسان وشورى وأخوة وتراحم بين بنى الإنسان .

قراءة مقدسة لواجبات مقدسة . والدنيا سياسية هنا ، وأخلاقيات هناك . المنادون السياسيون بأخلاقيات الإنسان وحقوق الإنسان مكيافليون منافقون وذوو المروءات والأخلاق هامش .

---

(1) لقمان :12 (2) الإسراء : 22

والحكمة الإسلامية المفقودة المطلوبة تجيب عن سؤال : كيف تلتقى ذمة المسلمين مع أخلاقية ذوى المروءة فى العالم ؟ كيف تُبْسَطُ يد الصدق بين كل الفضلاء الأحرار ؟

كان الإمام عمر بن الخطاب رضى الله عنه حذراً ، يقظاً ، وكان يقول : « لست بالخب ولا الخب يخدعنى » . فهذا مفتاح من مفاتيح الموقف . والله المستعان .



تاريخ وسجل

تتدرع الولايات المتحدة الأمريكية نصيرة حقوق الإنسان بالقانونية الدولية وإجماع مجلس الأمن الموالى لإرادتها ، وأخلاقية الفضيلة العالمية ، لتفرض بالحديد والنار وجهة نظرها وقضاء مصلحتها على الشعوب المستضعفة .

كأن فلسطين ، واحتلال اليهود لربوعها ، وتشريدهم لشعبها حق . وكأن إبادة المسلمين فى البوسنة والهرسك حق . تتدخل هناك منذ خمس وأربعين سنة لتتمم صنع الاستعمار البريطانى ، وتمسك هناك تاركة للصرب المتوحشين مهمة المجزرة .

وأظهرت حرب الخليج ومحرقة العراق أية حقوق هى تلك الحقوق التى لا تسمح القوة العسكرية الأولى فى العالم أن تمس ، وهى حقوقها فى نفط العرب ، وتحديد أثمانه ، وحماية مستوى معيشة الفرد الأمريكى المكرم أن تنخفض ، ليمت أطفال العراق وشعب العراق فداء لعرش الأمير ، وفداء لاحتكار نفط أمريكا .

بلاد العرب من خليجها إلى أطلسيها محمية أمريكية واحدة هذه هى الحقيقة المرة فى دولة حقوق الإنسان .

إزاء هذا كنا نقدم في الصفحات الماضية سجلاً من الأخلاقيات والتربويات ، لأن سجلنا الميداني يخجل أن يسمى نفسه .

ذاك الذي وقف في بساط رستم يعلم الفرس والعالم أن الله ابتعثه ليخرج العباد من عبودية العباد إلى عبودية الله وحده لا شريك له ، واثقاً مقدماً مقداما، هل كان معه ترسانة توازي ما كان مع الدولتين العظيمتين على ذلك العهد ؟

ما كان معه قتالية الفرس ونظامها ، ولا جحافل الروم وتدريبها .

وكانت معه أخلاقيات وتربويات وإيمان بالله عز وجل ، تخرج من المسجد ، وعقد العهد مع الله في المسجد وحمل الرسالة إلى العالم يخفق على رأسه لواء عقد في المسجد .

وصنع الله القوي به وبأمته سجلاً مجيداً في تاريخ الإنسانية ما طغى المسلمون وما بغوا لأن القرآن كان فكرتهم ، وقانونه كان نظامهم ، وقوة باعثهم الإيماني كانت القوة المعنوية التي تمثل الفرق بين القوة المادية للجيوش النظامية وبين المجاهد المستبسل في سبيل الله .

الفرق في زماننا شاسع بعيد بين ماديات قوة في أوج عملقتها وبين أمة غثاء ، وما دمنا نقيس بالمعيار المادي وحده ونحزم في وسط جسم غثائي حزام السلاح المستورد فالمسافة ستتسع ، وحقوق الإنسان ستبقى قناعاً يخفي وجه النكال بنا .

صدامان

اصطدم العقل المسلم بالعقل الآخر ، والجسم الإسلامى بالجسم الآخر صداماً مستمراً منذ بزوغه إلى يوم الناس هذا ، وكان لهذا الصدام أوج وحضيض تارة يكون العقل الآخر والجسم الآخر من الوهن والضعف والموت ما لا يبيح الحديث عن صدام من أى نوع . لأن الحى لا يصطدم فى طريقه مع الموتى .

وتارة يكون عقلنا نحن وجسمنا من الوهن والضعف والركود مالا تستحق المواجهة معه إلا أن تسمى باسمها فى إخبار رسول الله ﷺ : أكلةٌ نهمون مستعمرون أقوياء ، وقصْعة لا حول لها من أمرها ولا قوة .

وذلك في قوله ﷺ : « يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها . فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال ﷺ بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن ، فقال قائل : يا رسول الله ! وما الوهن ؟ قال ﷺ : حب الدنيا وكراهية الموت » . أخرجه الإمامان أحمد وأبو داود وغيرهما .

عقل غثائى وجسم غثائى غزاهما وأكلهما شر أكلة أمم مصنعة متعلمة تحب الحياة وتتقن فنونها ، وتكره الموت وتذيقه الناس

ونحرص نحن في حضيض غثائيتنا على حياة أية حياة ثم لا نقدر ، ونكره الموت البدني مرحبين بموت الكرامة وسفك دماء الإنسانية فينا .

كان للصدام المستمر أوجان : حين برز المسلمون ووطئوا بساط رستم وأرض الفرس ومستعمرات بيزنطة ، وقالوا تلك الكلمة المحررة التي فتح لها حد سيف التحرر مجال الفعل وفتحت لها كلمة الحق محررة العقل صدور الأمم .

والصدمة في أوجها الثاني بدأت منذ قرنين من الزمان بغزوة تفوق فيها العقل الآخر التفوق الذي ما زلنا نتحدث عن عواقبه وعقابيله .

فماذا حدث للعقل المسلم الأول الساذج في نوعية ثقافته ومستوى فهمه للعالم حين ورد على معاقل الآخرين ؟

سؤال ضروري لأن الحبل لم ينقطع بيننا وبين التأثيرات والتأثرات والموجات والرجات التي أحدثها بروز الإسلام وصدامه مع الحضارات والعقليات والفلسفات .

ولانستطيع أن نعرف أي إنسان نعني ويعنى غيرنا وأية حقوق إن لم ننظر نظرة متوازية لتطور العقل المسلم والعقل الآخر إلى أن وصل حالهما إلى ما نرى ونسمع .

من منبعنا ومنبعهم يجب أن نراقب أهم المحطات التي عبرها السيل التاريخي حتى تعاظمت قوة تناقضاته ، واستفحلت دواعي نزعاته ،

وتعينت ضرورة تعايش مكوناته طوعاً وكرهاً .

طُرِحَت على العقل الساذج الخارج من مسجد تربيته إلى العالم تحديات وأسئلة لا محيد له عن الجواب عنها ، طرحتها الحضارات المعاصرة والفلسفات الدينية ، والفلسفة الوثنية ، والوجود الفارسى الرومى ، ومسؤولية إدارة امبراطورية تتوسع .

ماكانت الفطرة الساذجة تقبله عفواً أصبح من اللازم أن يُستدل عليه عقلياً ومنطقياً أمام مجادلة الأمم الأخرى التى استقبل عامتها الإسلام بترحاب كما يُستقبل المحرر ، لكن خاصة أحبار اليهود ، ورهبان النصارى وفلاسفة اليونان ، وموقدى نيران الزرادشتية والمانوية والمزدكية ، ومعلمى الصابئة ، عارضوا وجادلوا وكادوا ودافعوا عن عقائدهم وواقعهم .

كانت مراكز المقاومة فى شام الثقافة الهلنستّية ، وعراق حران وفارس المجوسية .

انتصر الإسلام فى ميدان القتال ، وكسب شعبيته فى القواعد القومية بسرعة ما بين تخوم الصين وشمال أفريقيا .

وكان لابد بعد الفتح السياسى من استيعاب الأقوام وتقنين الشرع ، وتأسيس مناهج العلوم ، وتحضير البداوة وتعليم الأمية ، والرد على المعترض .

كان لابد من إثبات أن العقل لا يتناقض مع الوحى ، وكان لا بد من شرع سلاح الجدل عن الدين فى وجه طوائف الملل والنحل التى نشأت فى صلب المجتمع كالخوارج ، أو فى مواطن المقاومة حيث كان الدين فلسفة والفلسفة ديناً .

تفاعل العقل المسلم وتعلم واستوعب واستعار .

هل كانت شمس الفلسفة الأرسطية هى التى أضاءت الطريق للعقل العربى حتى كان له الشأن الذى نعرفه ؟

هل كان لاستيطان العاصمة الإسلامية فى دمشق الروم ثم فى عراق الأكاسرة أثر فى تثبيت العصبية الأموية ثم الدولة العباسية على سنن الاستبداد ؟ أم هل تعلم العقل المسلم الطبقية والعنجهية مضيفاً إلى قبليته الأصلية تفيئاً جديداً ؟

بعبارة أوجز : ماذا كان أثر الاصطدام مع الثقافات المغايرة على الفكر المسلم والسياسة المسلمة ؟

نفس السؤال الذى يطرحه علينا العصر الآن ، ونفس التحدى مع الفارق الكبير ، وهو أن المسلمين فى لقائهم مع فلسفة اليونان ، وأديان المشرق ، وعلوم الهند ، وكسروية الفرس ، وقيصرية الروم كانوا هم الأقوياء ، بينما نحن اليوم فى الكفة المرجوحة والذات المجروحة .

يقول لنا التحدى الحالى : لا حياة فى عالم التنافس وسيطرة

الأقوياء إلا بتنمية ، ولا تنمية إلا بتقنية وتمويل وتوفير وحجم واستقرار سياسى ، ووفاق اجتماعى ومشاركة وتعبئة ، ولا شيء من هذا يمكن إلا بعقلنة الفكر وعقلنة السياسة ، أى أنه لا طريق إلا بنبذ الدين واعتناق دين المادية ونظام الديمقراطية اللاييكية الطارحة للدين فى الركن القَصِىّ .

مقصودنا منذ فتحنا هذه الصفحات أن نتتبع المقالة اللاييكية لندحض الزعم الحداثوى ونتقدم بأن الحكم الشورى والعقل المتدين المتعلم بلا حرج من كتاب الله وكتاب العالم ، كفيلان وحدهما بضمان الحياة والقوة والتنمية والوحدة للمسلمين

كان جهد المتفلسفة من المسلمين على العهد الأول وعلى مدى قرون أن يدمجوا الدين فى الفلسفة والفلسفة فى الدين ، من الكندى والفارابى وابن سينا إلى ابن طفيل وابن رشد كان الشعار الفيلسوف هو « صرف الشريعة إلى الحكمة » تلك كانت صيغة لاييكيتهم الدمجية ، بينما صيغة معاصرينا تفريقية تريد الدين منصرفاً لشأنه فى الحياة الخاصة ، وتريد السياسة العامة متجردة عن كل دين .

تعددت الأسباب والموت واحد.

وكان الفقهاء من جانبهم يؤكدون أن صحيح المنقول لا يتناقض مع صريح المعقول .

فمن المعتزلة القدرية الذين جادلوا الفلسفة الإشراقية والمنطق اليونانى ، إلى ابن تيمية الذى جادل المعتزلة وكل الملل ، مروراً بالغزالى الذى حارب الباطنية ، كان علماء المسلمين يريدونه ديناً قيماً ينصب العقل نفسه بمقتضاه خادماً بين يدى الوحى .

يمثل الإمام الغزالي رحمه الله العقل المتفتح ، الباحث عن كماله ، المتقدم إلى كل باب ، يطرق الأبواب جميعاً أينما خيل له أن هناك سراجاً يستصبح به .

نازل الفلاسفة ومعه سلاحه الأصولى ، وبين تهافتهم ، وهى جريمة لا يغفرها له فلاسفة هذا الزمان ، فيعتبرونه نموذجاً للظلامية فى الفكر الإسلامى ، ويصفون ما آل إليه بحثه من الانضمام إلى صف الصوفية على أنه خروج من الدين ، وانطواء فى حضن الفلسفة الإشراقية الصابئية الحرانية ، ومرجعية للتواكل والخمول الذين أصابا العقل المسلم .

كان السلاح العقلى الذى استعمله الغزالى سلاحَ المتكلمين الأصوليين ، وكان من رأيه أن علم الكلام ومناهجه الاستدلالية لا يتناقض مع المنطق الأرسطى ، وترك فى كتبه من إعجابه بالحد والبرهان ، وهما قمة العلم عند أرسطو ، ما شنّع به عليه معاصروه ومن بعدهم ، خاصة شيخ الإسلام ابن تيمية .

قال في مقدمة كتاب « المقاصد » عن منطقيات اليونان : « أكثرها على منهج الصواب ، والخطأ نادر فيها ، وإنما يخالفون أهل الحق بالاصطلاحات والإيرادات دون المعانى والمقاصد . إذ غرضها تهذيب طرق الاستدلالات ، وذلك مما يشترك فيه النظار » .

رفض العلماء المسلمون عامة ، ما خلا الغزالى فى مراحل بحثه الأولى وبعض من تبعوه منطق اليونان . وحاربوا المذاهب المارقة والفلسفات الطارقة بسلاح علم القياس وأدواته .

كان أول من رفض الآلة المنطقية اليونانية الأرسطية عبقرى العلماء الإمام الشافعى رضى الله عنه مؤسس علم الأصول ، ورفضه العلماء من بعده لأن منطق اليونان يتكئ على ميتافيزيقا وعلى فيزيقا مادتين مخالفتين لعقيدة المسلمين مخالفة لغة اليونان للغة القرآن .

رفضوا الآلة لرفض المضمون ، وهل تسلم آلة مستوردة من جراثيم تحملها فى طياتها ؟

وطوروا منطقاً استفاد مما « يشترك فيه النظار » ، ودرّسوه فى المسجد بعد أن لقنوه شهادة التوحيد ، درسوه فى المسجد جنباً إلى جنب مع دروس النحو والفقه والتفسير والحديث وسائر العلوم .

نقدوا الآلة المنطقية اليونانية لأنها فكرة قائمة على المنهجية الاستنتاجية النظرية ، بينما طبيعة الفكر المسلم الاستقراء ، وروحه وآلته التجربة .

وكسب علم الأصول وعلم الفقه وعلم اللغة وعلم النحو تقدماً كبيراً لاعتماد هذه العلوم على الآلة المنهجية المسلمة .

بدل الحد والبرهان الأرسطيين استعملت هذه العلوم القياس الأصولى بآلته ومذهبه فى السبر والتقسيم وترقيقاته المنهجية العملية العينية فى المناسبة والشبه والطرد والدوران وتحقيق المناط .

السبر والتقسيم منهجية تجريبية ، تقسيم الموضوع إلى تفاصيله الجزئية ، ثم البحث عن الخصائص المشتركة والعلة الجامعة ، ثم العود على الأقسام بالنقد العميق (وهو السبر) لإقصاء المحتملات الواحدة بعد الأخرى حتى لا يبقى إلا التى تصمد وتثبت التجربة صحتها .

وكان التسامح مهما احتد الجدل بين المسلمين السمة الغالبة .

عاش الفلاسفة فى أمن لم يحرق منهم برونو واحد ، ولا حوكم جاليليو أمام مكتب مقدس . الكندى والفارابى وابن سينا ثم ابن باجة وابن الطفيل وابن رشد لم يضطهدوا . نظر إليهم الفقهاء شزراً ، واكفهر المحدثون فى وجوههم ، وجادلهم العلماء ودحضوا حججهم جيلاً بعد جيل . لكن لم تنصب مشانق ولم توقد محارق .

هل حرر المنطق الأرسطى العقل المسلم ، وهل كان ابن رشد بأرسطيته الجديدة النقية هو باعث نهضة أوروبا ؟

إذا فلنكن أرسطيين بأصالة رشدية لنتحرر ونلتحق بالركب !

فلسفة أرسطو المحررة كما سرّبها ابن رشد إلى أوروبا كانت عماد فيلسوف الكنيسة الأكبر طوماس أكيناس ، ونعرف أية حرية مارستها الكنيسة .

أما الأصالة التى نحن بحاجة حيوية إليها فهى استعادة المنهجية التجريبية التى ولدت من رحم القياس الأصولى ، ويدعيها غيرنا أبوة وأمومة .

نأخذ الصيغة الأصلية لمفتاح العلوم الكونية من قلم ناطق أصيل باسمها إنه الطود الشامخ فى علوم الضوء والبصريات أستاذ الأجيال ورائد طريق سلكها من بعده جاليليو ونيوتن وبيكن ، والتى هى الرهينة الكريمة لدى العقل العلومى الصائل فى الدنيا .

إنه ابن الهيثم الذى يقول : « نبتدئ فى البحث باستقراء الموجودات ، وتصفح أحوال المبصرات ، وتمييز خواص الجزئيات ، ونلتقط باستقراء خواص ما يخص البصر فى حال الإبصار ، وماهو مطرد لا يتغير ، وظاهر لا يشتبه من كيفية الإحساس » .

قال : « ثم نترقى فى البحث والمقاييس على التدرج والترتيب ، مع انتقاد المقدمات والتحفظ فى النتائج ، ونجعل غرضنا فى جميع ما نستقريه ونتصفحه استعمال العدل لا اتباع الهوى ، ونتحرى فى سائر ما نميزه وننتقده طلب الحق لا الميل مع الآراء » .

قال : « فعلّنا ننتهى بهذه الطريق إلى الحقِ الذى به يثُلج الصدر ، ونصل بالتدريج والتلطف إلى الغاية التى عندها يقع اليقين ، ونظفر مع النقد والتحفظ بالحقيقة التى يزول معها الخلاف ، وتنحسم بها مواد الشبهات » .

انتهى كلامه رحمه الله نقلاً عن كتاب « مناهج البحث عند مفكرى الإسلام » للدكتور على النشار ، ص 240 طبعة رابعة . وهو ينقل عن الأستاذ مصطفى نظيف ، رحم الله الجميع .

لا يسلم فلاسفة الزمان العرب والآخرون أن هذه المنهجية الرائعة النيرة انبثقت من علم الأصول . ويجدون فى كتب ابن الهيثم من الإعجاب « بما يشترك فيه النظار » مثلما عند الغزالىّ .

وليس المهم أن نعثر على خيط واصل بين التجريبية والأرسطية أو لا نعثر . المهم أن الصيغة التى قرأناها صنعها عقل مسلم ، لم يشعر بحاجة إلى التخلى عن دينه ليرتقى ، لأنه لم يكنِ مهزوماً بل كان منتصراً .

ويُكذّبُ التاريخ النسب المزور الذى يربط بين الأُب أرسطو والوالدة بيكن « وهما بيكنان : فرنسس وروجر وإلى كليهما يعزون الطريقة التجريبية » .

وإن توسّط ابن رشد فى شىء فإنما توسط فى تلقين الكنيسة فى

شخص ابنها طوماس أكناس .

روجر بيكن الذى ينسبون إليه أمومة المنهج التجريبى رجل إنجليزى بارز فى علوم زمانه درس فى الأندلس ، وكان رسولاً من رسل العلوم ، سعى بها وبآلتها التجريبية من بلد إلى بلد ، ومن أمة إلى أمة ، ولم يكف مدى حياته عن الاعتراف بالفضل لذويه مؤكداً أن « معرفة العرب وعلمهم هما الطريق الوحيد لمعرفة الحق » كما يقول الإنجليزى برفولت فى كتابه « تكوّن الإنسانية » نقلته عن كتاب النشار رحمه الله .

ويقرر الأستاذ برفولت أن روجر بيكن درس العلوم العربية دراسة عميقة ، وأنه ليس له فضل ولا لسميه فرنسيس بيكن فى اكتشاف المنهج التجريبى فى أوربا .

يقول الشاهد المنصف إن روجر بيكن لم يكن فى الحقيقة إلا واحداً من رسل العلوم والمنهج الإسلامى التجريبى إلى أوربا النصرانية . ولم يكُف روجر بيكن عن القول بأن معرفة العرب وعلومهم هما الطريق الوحيد للمعرفة الحق . يكرر ذلك ويقرره لمعاصريه .

ثم يذكر الشاهد من أهلها أن مناقشات كثيرة تقوم حول واضعى المنهج التجريبى ، وأن هذه المناقشات تعود فى آخر الأمر إلى

تصوير فاسد محرّف لمصادر الحضارة الأوربية .

يقول إن مصدر الحضارة الأوربية الحق هو منهج العرب التجريبى ، وقد انتشر منهج العرب التجريبى فى عصر بيكن وتعلمه الناس فى أوربا ، يحدوهم إلى هذا رغبة ملحة .

يقول إن أهم أثر للثقافة الإسلامية فى العلم الأوربى هو تأثيراها فى « العلم الطبيعى والروح العلمى . و هما القوتان المميزان للعلم الحديث ، والمصدران الساميان لازدهاره » .

ويشهد الشاهد من أهلها « أن مايدين به علمنا لعلم العرب ليس هو ما قدموه لنا من اكتشافهم لنظريات مبتكرة غير ساكنة . إن العلم يدين للثقافة العربية بأكثر من هذا .. إنه يدين لها بوجوده .. إن علم النجوم ورياضيات اليونان كانت عناصر أجنبية لم تجد لها مكاناً ملائماً فى الثقافة اليونانية » .

قال : « ولكن طرق البحث وجمع المعرفة الوضعية وتركيزها ، ومناهج العلم الدقيقة والملاحظة المفصلة العميقة ، والبحث التجريبى كانت كلها غريبة عن المزاج اليونانى ..... » .

قال : « إن ما ندعوه بالعلم ظهر فى أوربا كنتيجة لروح جديد فى البحث ، ولطرق جديدة فى الاستقصاء .. طريق التجربة والملاحظة والقياس . ولتطور الرياضيات فى صورة لم يعرفها اليونان .

وهذه الروح وتلك المناهج أدخلها العرب إلى العالم الأوربى » .

ننتهى من كـلامه ونصحح كلمتين : إحداهما أن العلم بصيغة الإفراد هو العلم الكامل ، وهو العلم بالله وبالإنسان ومصيره ، وهذا مصدره الوحى لا سبيل للفكر البشرى إليه إلا عن طريق الرسل عليهم السلام ، وما يكتسبه الفكر البشرى بوسائله المودعة فيه من العلوم الكونية فيليق أن تسمى علوماً بصيغة الجمع .

التصحيح الثانى هو أن هذه العلوم ما كانت فى الأندلس ولا فى بغداد ولا فى دمشق ولا فى القيروان علوماً عربية . لغتها العربية لغة المسلمين ، فهى علوم إسلامية لا تعرف العنصرية . شاركت فيها عبقريات الشعوب الإسلامية من عربية وفارسية وتركية وأفغانية وبربرية ومولدة وسائر الشعوب العجمية المسلمة . استعربت لغة كما أسلمت ديناً .

بعد هذا فالأندلس الذى أضاء مصباحه على أوربا هو أندلس العباقرة الفلكيين والرياضيين والأطباء ، لا أندلس الفلاسفة ومقدمهم ابن رشد .

ربما كانت الرشدية التى غزا فكرها أوربا مدى قرون رائدة فى رفضها المبدئى لدمج الدين فى الفلسفة ، و«صرف الشريعة إلى الحكمة » ، ربما كانت الرشدية الأرسطية النقية (أرسطو فقط !)

علمت طوماس أكيناس (أو الإكوينى) الاستدلال المنطقى على أن دين الكنيسة حق ، وعلمت السلالة التى ولدت فلتير وفلسفة التنوير أن الدين لا ينبغى أن يدخل فى الفلسفة ولا الفسلفة فى الدين .

بهذا تكون الرشدية التى يشيد بها الفلاسفة العرب المعاصرون إشادتهم بالفكر المعتزلى رائدة فى ميدانين ، معلمة لفنين . بها ربما وطدت الكنيسة قدمها فى عالم الفكر المتحجر الظلامى . وبها تحرر عبيد الكنيسة من ربقة الكنيسة .

يبحث الفلاسفة العرب المعاصرون عن سلف لهم فى اللايكية ، فينادون شبح ابن رشد . ويلتمسون عند المعتزلة آباءً أُصلاء للعقلانية الجريئة .

وما لنا نُشَرِّح الجثث الهامدة ! ماتت الفلسفة الأرسطية وشبِعَت موتاً . وماتت بعدها فلسفات نقضها تقدم العلوم الكونية ، كلما اكتشف العقل العلومى أفقاً جديداً للمعرفة انغلق على العقل الفلسفى أفقه الأول ، وكلما أسست الكشوفات الكونية قارة جديدة للعلوم تداعى بنيان الفلسفة ، وحاولت الاستنجاد بشقيقها العقل العلومى لتنشىء لنفسها بنياناً جديداً .

ماتت الفلسفات وتموت . وأعلنت إفلاسها وتعلن . بحوثها فى أسرار الوجود كانت ولا تزال وستبقى عقيمة . نطحت رأسها بجدار الغوامض مما تسأله الفطرة عن المبادئ والأسباب و المعنى ، فأدمى

رأسَهُ الوعِلُ . وعقمت الميتافزيقا عن إنشاء جواب واحد متماسك .

أعلنت الفلسفة إفلاسها وعجزها عندما دفع العقل التجريبي إلى عهدتها أسئلة لا جواب عنها ، فركمتها وصنفتها في مخازن المجهول وعلقت عليها لافتة « براسيكولوجيا » . وكأن تصنيف المجهولات وتأليف الموسوعات في ما يجهله الإنسان ، وتعليق اللافتات الطنانة علم وإنجاز معرفي .

علومية جاليلو المنحدرة مباشرة من فلكيِّي الأندلس أسست لديكارط وجيله مصطبة عليها بنى مجده ، وأسس هو منهجية الشك والثقة بعقل « أنا أفكر فأنا موجود » ليثبت بها وجود الله ، سرعان ما أخذ الديكارطيون مبدأ الشك والثقة بالعقل ليحاربوا بهما فكرة وجود ميتافيزيقا مغايرة ومتعالية علي الحس . وماتت الديكارطية الفلسفية المنهجية علي أهمية المنجزات العلومية لديكارط.

ونقل روجر بيكن كما قرأنا منهجية المسلمين إلى الإنجليز فأثلت عندهم روح البرجماتية التي عبر عنها لوك وهيوم . فالقوم لا يؤمنون إلا بما رأوا ولمسوا . ويتحولون مع كل ريح تعطي مطراً .

فيزياء نيوتن أسست لفلسفة كانط وأعطتها الثقة بالعقل المارد الذي حوله يدور كل شيء كما تدور الكواكب حول الشمس .

وماتت الكنطية لما طلعت في فجر هذا القرن فيزياء بلانك

الكميـة ونسبـية إنـشطاين الكونيـة . وتكـاثرت وتناثرت وتعـارضت الفلسفات التي بنت مجدها على علميى هذا القرن .

وهى إلى الموت مع آخـر صيـحة فى دنيـا العلـوم : وهى نظرية الفوضى الكونية .

كانت العلوم واثقة من اكتشافاتـها ، وهى اليوم تشعر بأن ما تحصله اليوم يهرب منـها غداً ، كانت الحتـمية والنظام فى الكون هما السـمتان اللتان كشفهما الله عز وجل لهذا العقل المفتش المتطلع ، واليوم يكتشف له أن لا حتمية ولا نظام . ويبـقى الباحث خلف مجهره ينتظر مكونات الذرة هل تأتى إلى الموعـد أوتتخلف ، هل تـظهر تموجاً وإشعـاعاً كـما تظهر الطاقة أو تأتى متقطعة كما هو شأن المادة .

فوضى منظمة . وألغاز فى الكون ، ولغز أعظم فيك يا إنسان .



عودة الكريمة إلى بيت أهلها

نخرج من هذه الجولة بما يلى : المسلمون الذين صاغوا المنهجية العلومية هل تخلوا عن إسلامهم ، وأقالوا العقل المؤمن من وظائفه ، أم هم برعوا فى العلوم لثباتهم فى العلم ؟

بنفس القياس الأصولى ، المتكيف بالموضوع ، افتتحوا الفهم فى شريعة الله المنزلة ، وافتتحوا الكشف فى كون الله المخلوق .

نعم كانت الإصابة بليغة وخانقة ومميتة للعقل ، إصابته من جانب الحكم الجائر الذى أغلق باب الاجتهاد وكم الأفواه لكيلا يقول أحد غير ما يقوله الأمير . قال المأمون العباسى : كونوا معتزلة ، فساد الاعتزال وجُلدت ظهور الأئمة .

خنقوا العقل عندنا فطارت روحه العلومية إلى تلك الديار التى استوطنها لما لم يجد فى بلاد المسلمين موطناً يأويه ، وحاضنة تحضنه ، ومرتعاً يتغذى منه ، وحامياً يحميه .

كيف نسترضى الكريمة الطائرة من وكرها ؟ بأى ثمن نوطن فى المجتمع المسلم روح العلومية ؟

الجواب بدهى : لا تعود الكريمة إلى بيت أهلها والجناة



الخانقون للحريات الهاضمون لحقوق الإنسان على رأس الحى .

ولا تعود بلا جهاد مستميت لأنها هناك أصبحت رهينة محتكرة ، عليها حراس أسكنوها فى حرز أمين .

وكلاؤهم من بنى جلدتنا يساومون على المهر : لا سبيل إليها إلا أن تتدينوا بدين من تبنى وربى وغذى وكسا وطور . كونوا مثلهم لا ييكيين ونتكلم فى الشروط الأخرى .



ركام وركام

الشروط الأخرى عسيرة لأن مكونات الحضارة المتبنية حافلة بمخلفات التاريخ الفكرى وركامه الفلسفي الصداعى الذى تشكل ضد الإسلام.

فالأصول اليونانية للوثنية المادية الغربية تقول : الإنسان للفن كونوا مع فنوننا ، وتقول : الإنسان خَلْفٌ فى الأرض لبومثيوث سارق النار من آلهة الأولمب . فكونوا معنا جبارين فى الأرض . جمالية اليونان ، والمرأة المعبودة ، والجسم المعبود ، والرياضة البدنية والخيال الأولمبى.

وتقول الأصول اليهودية الراسبة فى أعماق الحضارة الغربية : شعب الله المختار لا حرج عليه فى احتقار « الجويم » وغشه وابتزاز ماله ومتاعه وأرضه بالربا والحيلة . من حق الجويم الملون أن يرضى بما يُلقى إليه ، ويا فلسطين مَنْ صلاح دينك ؟

ويتفق مع نظرية الجويم اليهودية ، من جانب القوة ، الديمقراطية الأثينية العنصرية والقانونية الرومانية الاستعمارية.

كما تتفق معها من جانب القوة والحيلة معاً الماكيافلية المتلونة التى تبرر بمقتضاها الغايةُ الوسيلةَ .



وتقول الفلسفة المادية الموجودة فى طبقة ما من التراكم الجيولوجى للثقافة الغربية : الإنسان تطور فكرى شب عن طفولة الأديان . حقه أن يتعلم العلوم الكونية المحررة ، إن لم يعارض الجار من شعب الله المختار .

تقول الوجودية : الإنسان عبث مرمى فى الكون ، حقه اللهو والحزن اليائس والانتحار ، أو الانخراط فى نضالية ماركسية يصنع بها الإنسان لنفسه وجوداً مشرفاً .

تقول الدروينية المتمركزة فى الجيولوجيا الثقافية : الإنسان قرد متطور ، حقه أن يمارس حيوانيته بحرية وعفوية وتنافس صراعى . يبقى الأصلح ويفنى الأضعف . الأصلح حيوان قوى مستريح فى قرديته .

يقول اللاأدريون : الإنسان لغز لا يتعرف . حقه الألم الميتافزيقى .

تقول الدهرية الناطقة من ركن ما وطبقة ما : الإنسان حلقة فى ناعورة الحياة . حقه أن يغتنم فرصة العمر القصير .

تقول الاقتصادوية : الإنسان مورد من الموارد الأساسية حقه أن يقوم بواجبه الوظيفى .

تقول الماركسية : الإنسان عامل من عومل الإنتاج ، يديرالعجلة وإلا يساق للجولاج .

تقول الرأسمالية : الإنسان سوق ومستهلك حقه أن تزين له

البضاعة وتشهر وتعلب .

تقول الثورة الجنسية : الإنسان آلة للذة . حقه الجنس بلا حدود . لا تنطق بكلمتى الزنا والخنا ، فهما مخلفات بالية .

يقول نيتشه : الإنسان للقوة . لا حق للضعفاء فى الحياة .

يقول فرويد : الإنسان نزوات ، فى يقظته شهوات وفى منامه حقه أن لا يكبت ولا يمنع من إشباع غرائزه .

قال حب الظهور فى عالم مجنون : الأرقام القياسية هى قيمة الإنسان وحقه وواجبه . إنْ فى الرياضات أو أُكل أكبر كمية من البيض فى أقصر وقت .

وتنطق القومية من أعماق الأعماق فتقول : الإنسان أنا ، ودولتى القومية هى المحيا والممات والحرب والسلم . وحق الشعوب التى لم تدمرها حربان عالميتان ولم تعلمها الحرب الباردة وصراعية العمالقة ضرورة الوحدة ينحصر فى التمتع بقزامتها الخصوصية ، والركود فى فقرها ، وقتال الأقوام الأخرى ، وعبادة الدولة القومية كما يعبد الرهبان الصليب ، والتسلح حتى تكون صرباً غالبين أو بوسنة مبادين ، أو صومالاً تغيثهم حقوق الإنسان الأممية بعد أن يَفْنَى شطر منهم جوعاً وشطر آخر نزاعاً قبلياً .

وقالت الذاكرة الجماعية التى لم تنس ما فعله صلاح الدين

بالمملكة الفرنكية الشرقية : الإسلام هو العدو. وحق العالم على الإنسان المسلم المعتز بإسلامه أن تتألب عليه المخابرات العالمية ، وأن تعقد له المؤتمرات لتصفية إرهابه .

ووبّخ الضميرُ الجماعيُّ الخاشعُ أمام نفخ الإعلام اليهودى فى الأرقام على ما ارتكبته الهتليرية من مجازر فى حق شعب الله المختار . واعتذرت الكنيسة وقالت : الإنسان اليهودى أخوكم الحق . واجبكم نحوه أن تحموه كما تحمون أنفسكم وأن تسلحوه وتفشوا له الأسرار النووية .

ويطنطن فى الذاكرة الجماعية صدى سقوط الإمبراطورية البيزنطية فى القسطنطينية على يد محمد الفاتح . ويطنطن صدى حصار المجاهدين الترك عاصمة فينا . فكلمة « جهاد » كلمة منغصة متوحشة حقها أن تمحى من قواميس الإنسانية .

ويمثُل شبحُ الاستعمار الاحتلالى ، وجهاد المسلمين لطرد الاستعمار ، وقتالية المسلمين الجزائريين فى حربهم ضد فرنسا ، وثورة إيران ، وأسود أفغانستان فيقول : لن تراعوا ، فقد تركنا فى البيت أبناءنا وأعزاءنا ووكلاءنا .

تأملنا الوجه السلبى لحضارة تكاثرية ظالمة مبذرة شيطانية ملوثة : لوثت السماء والأرض والماء والهواء ، ولوثت العقول بفلسفتها الهائمة .

قياس وقياس

حاكمنا معايب الفلسفة وآثارها إلى القرآن وهذا لا يصح قياساً.

القياس الصحيح المتوازن أن نقارن معايبنا الفعلية بمزاياهم العملية. لأننا لسنا نبحث عن انتقام كلامي وشماتة لفظية. بل نبحث عن الطريق لتحرير عقولنا من الركام، ما ورد منه علينا في موكب الاستعمار المسلح، وما ترسب فينا من معاشرتهم ومخالطتهم، وما كان فينا راسباً ولا يزال من معايبنا التقليدية وأمراضنا الموروثة.

تجمَّعَ في قرارة نفوسنا والعقول ركام على ركام، وتفاعلت السلبيات، وتوالدت، وتركبت. فمرضنا مرض مركب.

ومن أسباب تخليد المرض فينا وتأبيد عبودية عقولنا أن نتغاضى عن مركب عيوبنا، ونستريح لثلب الآخرين، وننفض يدنا من واجب مواجهة الذات بصرامة لنعزُوَ للمؤامرة الصهيونية الصليبية أدواءنا وآلامنا.

ما استعمروك إلا وفيك قابلية للاستعمار. رحمك الله يا مالك ابن نبي، ولا خلفوا فيك ذرية هجينة وكيلة سادت في الميدان إلا

لموقع انحطاطك الموروث .

ولا ملؤوا عقولك وجزئيات حياتك بإفرازاتهم الفلسفية ، وأدواتهم الحضارية ، وبضائعهم الاستهلاكية ، وأنماطهم الثقافية ، إلا لأنك سوق عام مفتوح مستباح .

هلم إذن نقارن بين مزاياهم ومعايبنا لنرى أية مسافة تفصلنا عن الركب . بعدئذٍ فقط يحق لنا أن نفكر فى الكلمة التى ينتظر الإنسان أن يسمعها منا فى شأن حقه الأسمى . ثم لا يسمع منا إلا إن عالجنا عيوباً واستشفينا من أمراض ، واكتسبنا بالجهاد ضد النفس أولاً مزايا وقوة ومنعة .

ما يفعل قوم نساجون ماهرون إلا أن يسخروا من عريان يأتيهم لينتقد آلات نسجهم ، وألوان أثوابهم ، ومصادر قطنهم ، واقتصاد معاملهم ، اُكسُ نفسك من عريها أولاً وتعال نتناقش .

المقارنة بين مزايا الأوربيين النّساج المهرة وبين أسمالنا التقليدية وعرينا المستعار تخجل . وهى أشد إخجالاً إن قارنا فقرنا بثراء اليابان ، وعطالتنا من كل صناعة بصناعة اليابان وعلوم اليابان .

بالأمس كنتم مثلنا ! كيف تجاوزتم القافلة فى قرن من الزمان ؟

كلمة سنقولها عن قريب للصين ولشعوب الأرض تمر من أمامنا ونحن ننظر فى أعطاف شخصية مزورة لا يأتى منها خير أبداً .

من مزاياهم

حرف « من » للتبعيض . ونشير بمن إلى بعض المزايا الثابتة أصولها فيهم الصامدة على معاول الهدم الحضارى الذى ينخر فى كيانهم . من قوة هذه المزايا أنها لاتزال قائمة رغم السوس المتسلل إلى الجذور .

من مزاياهم الحرية ، ثم الحرية ، ثم الحرية . لا يعرفون العبودية لله لأنهم كفار وجاهلية . لكن الاستبداد البشرى تحصنوا ضده .

من مزاياهم العلوم ، وثمرات العلوم ، والإنفاق على البحث العلمى .

من مزاياهم العمل ، والجد فى العمل ، والضبط فى العمل ، والكفاءة فى العمل .

من مزاياهم أن العقلانية العلومية التنظيمية تسيرهم ، بينما تسيرنا المزاجية والارتجال .

يسيرهم التخطيط وسبق الأحداث وتوقع نتائجها ، بينما ننام حتى يفجأنا الواقع بالكوارث .

من مزاياهم التنظيم واليقظة .

من مزاياهم الديمقراطية التى تتحول إن استوردناها مهزلة ، ومهرجاناً فلكلورياً ، وتجارة فى الأصوات ، وتزويراً وغشاً .

من مزاياهم الواقعية التى ترضيهم بالديمقراطية على أنها أحسن نظام ممكن فى سياق خلفياتهم الحضارية . يستعملون الديمقراطية واعين بعيوبها وحدودها وتلاعبها وصفقاتها ، بينما هى عندنا كلمة أسطورية مثالية نُعلِّقها على قرن الثريا فى أحلامنا العاجزة التابعة المقلدة .

من مزاياهم المجتمع المدنى بواقعية أحزابه وتعددها ، وبجمعياته الفاعلة ، ونقاباته المناضلة ، وفضائله الإنسانية التى تسارع إلى الصومال لتطعم جياعنا وتأسُوَ جراحنا .

من مزاياهم القانون يطبق على القوى والضعيف . لا نحاكمْهم إلى مثالية القرآن وحاكمية الله ، فهم جاهلية يتحاكمون إلى اختيار الناس فى وضع دساتيرهم وتقنين شرائعهم . والنتيجة قانون معروف له نتائجه وحدوده وحقوقه لا مكان عندهم لإرادة الحاكم المطلقة .

من مزاياهم القضاء المستقل نسبياً .

من مزاياهم تمسك كل ذى حق بحقه ، وصراخ كل مظلوم فى وجه ظالمه .

. من مزاياهم صحافة حرة تراقب وتنتقد ، وتطرد رؤساء الدولة الخارقين لحرمة الحياة الخاصة فى وترجيت .

من مزاياهم أن اللاجئ السياسى منا يطرده ظلم طواغيتنا فيجد عندهم مأوى وأمناً ومساعدة وإنسانية . ناهيك بهذه ! . .

مزاياهم كثيرة كثرة معايبنا التقليدية والحادثة المحدثة فى الدين والمركبة .



مرآة معايبنا

مزاياهم لمعايبنا مرآة سلبية ، ماهو عندنا أسود يظهر للمتنازل عن دينه بياضاً خالصاً هناك .

نرسل المقارنة بين البياض الخالص والسواد الحالك إلى عالم المثاليات ، وننكب على ذاتنا بالوضوح الصارم ، وهو النصيحة التى هى من الدين ، بل هو النصيحة التى هى الدين .

ننكب بالنصيحة لا لجلد الذات وإيلامها ، بل لقياس المسافات المروئية ، وتقدير الجهاد الواجب للتطهير ، والتزكية والتربويات والأخلاقيات والتعليم والتصنيع .

إن كانت عنصريتهم المولودة مع ديمقراطية أثينا عنصرية قومية جنسية تخص الإنسان الأبيض والأوربى ، فعنصريتنا قبلية بدائية . قبائل تتبختر فى حلل النفط وأخرى عارية . عشائر استحوذت على أموال المسلمين وأخرى فى بنجلادش . بطون منتفخة من مطاعم الحرام متقلبة فى فرش العهارة والدعارة وصومال يموتون جوعاً أمام أنظار العالم .

تماسك عندهم فى القاعدة المدنية الديمقراطية وتداول على السلطة بين حكام عابرين . ونحن الحكام علينا مخلدون ، والقاعدة

فتات . أولئك مخلدون بالسيف لأن هذه فتات وقصْعة يا من يجمع !

تطَوّر فكر غيرنا ونحن عقولنا ونفوسنا تعشش فيها الشعوذة والخرافة ، وتتنوع فيها فنون « السحر الديني المقدس » مرميون نحن على هامش الحياة الدنيا مع هَمَل البشرية المنبوذة ، فما يغنى عنا شيئاً أن نندد بالوجودية العبثية متسلين بأن لهم الدنيا ولنا الآخرة . آخرتنا مفرومة مخرومة إن بتنا في الدنيا هَمَلاً وفرطنا في رسالتنا .

نحن القردة ، يأتون للفسحة في ديارنا ، والتفرج على فلكلورنا في نزلات السياحة وكازنوهات القمار ، وخمارات الليل وبنات الليل . لا يطيق القلم القرب من فتن ما تفعله الإباحية في نسائنا ورجالنا . نستورد الإيدز مع السيدات العاهرات السائحات الشقراوات ، ويتوطن فتي بلادنا بلاء على بلاء الدولارات التي يتسولها أطفالنا في الشوارع السياحية .

الإنتاج والعمل والضبط والجد نبات لا يخرج في أرضنا لتمكن الأعشاب الطفيلية من رشوة ومحسوبية ولا مسؤولية .

نحن حلقة في ناعورة التخلف الاقتصادى والاجتماعى والسياسى . ما يفيدك الرثاء لحال الدروينية القردية والفراغ الدهرى إن كانت أحوالك أنت أحوال سياحة لا تحسن صناعة غيرها ؟ وكان

لسان حالك المتسيب أخلاقياً يقول : إن هى إلا حياتنا الدنيا !

أرقام ديمغرافية نحن متكاثرة غثائية ضائعة همل . ما ندرى كيف نتباهى بين الأمم بكثرة عددنا ، ولا كيف يتباهى بنا نبينا ﷺ ونحن غثاء مُرسل كغثاء السيل .

نحن السوق الهامشية التكميلية ، يلقون إلينا فضلات معاملهم الملوثة للبيئة كما يلقون إلينا لعب تقنياتهم لنستهلك مالا نصنع ، وفائض زراعتهم لنأكل ما لا نحرث .

نحن الصفر على اليسار فى التوازنات الدولية الثقيلة .



نكوص عن المهنة

ينكص عن مهنة التطبيب والتمريض من لا يرضى بالنظر الفاحص للجرح وتقَيحُّه ، والداء وامتداده ، والعلاج وشروطه .

ويوغل في الوهم والغرور من يظن أن الخارجين من المسجد لتطهير الساحة هم ملائكة نازلون من السماء ، بارئون من كل عيب .

إنما هم بضعة من ذلك المجتمع الذى كنا منذ حين فى سرد مظاهر دائه ، أبناءَ بيئة وبناتها . يتزكون من خلال جهادهم فى نشر الدعوة ، أنفسهم موضوع للعلاج أثناء غشيانهم الساحة .

إذا كان الفاحص يستر وجهه لكيلا يرى المصاب على حالة مرضه ، وكان المعالج يرى المصاب وعلى عينى المعالج منظار ملون بلون الورد لكيلا يلوث بصره بلون القيح فيضطر لتلويث يده وثيابه .

وإذا كان التشخيص خطأً أو مغالطة للنفس ، فالعلاج شعوذة مهماً كان الدواء الموصوف ناجعاً فى إطلاقه .

ولله عاقبة الأمور .



حضارة منخورة

نخلص من المقارنة على صعيد المروءة المشتركة بين البشر، غائبة هنا مكبوتة مرذولة،حاضرة هنالك مزدهرة معمول عليها ، لنضع المقارنة فى منظورها الإسلامى الذى يُقيِّم الإنسان والتاريخ على ضوء الإيمان .

فى هذا المنظور هم جاهلية ونحن مسلمون . وهذا فرق جوهرى ، لأن من يؤمن بالله واليوم الآخر ليس كمن لا يؤمن . يتفوق الكافر والحضارة الجاهلية ما تفوقا فى أسباب القوة وزينة الحياة الدنيا ، ويبقيان على سلم الأبدية خسارة وإفلاساً .

زار الشيخ محمد عبده رحمه الله أوربا ، فيُنقل عنه قوله بعد رجوعه : « هناك إسلام بلا مسلمين ، وهنا مسلمون بلا إسلام » .

كلمة ما كان يقصد بها هذا الرائد المبهور بالتفوق المادى لحضارة الشوارع النظيفة ، والنظام والصناعة والعلوم والمعاملة الحصيفة المتأدبة واللياقة الاجتماعية والقوة العسكرية إلى سائر المزايا ؟

تلك المزايا نعترف بها ونشرح عيوبنا ونجرح للمقارنة الأفقية الأرضية كيلا نعيش فى الأحلام ونُرِىَ أنفسنا واقع العالم كما نهوى لا

كما هو العالم . لكن المسلمين وإن تخلفوا عن إسلامهم وتخلوا عن مزاياه لا يزالون مسلمين .

والجاهليون جاهليون ولو بلغوا ما بلغوا من الرقى المادى والرخاء المعاشى والثروة والقوة والزينة . كفر هناك وإيمان بالله واليوم الآخر هنا ، هذا فرق جوهرى ، والفوارق الأخرى عرضية .

عرضية ومصيرية . خطير هو الفرق بيننا وبينهم على صعيد المزايا المادية العلومية المروئية النظامية ، لأن النموذج القوى يجذب ويقيم الحجة بمزاياه على عيوبنا . ويقرض جذبه وحجته ودعوته بالنموذج المتفوق فى هذه الميادين إسلامنا من أطرافه .

وبعد عدة أجيال تجدنا ـ لا سمح الله ـ مسلمين اسماً بغير مسمى كما هم مسلمون من عفَّى على إسلامهم الاندماج الثقافى من ذرارينا الذين ذُرُّوا فى مطاحن التغريب .

يومئذ ـ لا سمح الله ـ يمكن أن نقول إننا مسلمون بلا إسلام . لكن هل يكون عند غيرنا إسلام بلا مسلمين ؟ هل الإسلام ثروة وناطحات سحاب ونظافة ظاهرية وقنابل ذرية وعلوم ونظام وقدرة مادية ؟

لا .

الإسلام حق والجاهلية باطل ، هو نور وهى ظلام ، مهما كانت

المزايا والمعايب العرضية .

انقل المقارنة من الأرض إلى السماء ومن أبعاد الحياة الدنيا إلى المنظور الأبدى .

ثم ﴿ **لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد . متاع قليل . ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد** ﴾ (1) .

★ ★ ★

(1) آل عمران : 196 - 197

سنة الله فى التاريخ

ولا يغرنك عملقة الحضارة الجاهلية ففى قواعدها السوس ينخرُها على مَهَل . يُرَى أثر النخر عقداً من الزمان بعد عقد ، وعاماً بعد عام ، وترديا بعد ترد . وبعد ما شاء الله تنادى على حضارتهم الظالمة سنة الله فى عباده ، وعادته فى خلقه بآية : ﴿ **فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا . إن فى ذلك لآية لقوم يعلمون** ﴾ (1) .

آية نزلت فى ثمود قوم صالح عليه السلام ، وكانت لهم حضارة وجنات وعيون وزروع ونحوت وبيوت وفراهة .

وكفروا بأنعم الله وظلموا وكذبوا الرسول ، وذلك أعظم الظلم . قال الله تعالى فى حقهم : ﴿ **ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون . فانظر كيف كان عاقبة مكرهم . أنا دمرناهم وقومهم أجمعين** ﴾ (2) .

وقال تعالى فى حق من آمن برسوله صالح عليه السلام : ﴿ **وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون** ﴾ (3) .

مكره تعالى بالكافرين أن يملى لهم ويذرهم فى طغيانهم

---

(1) النمل : 54 . (2) النمل : 52 - 53 . (3) النمل : 55 .

يعمهون . ويمدهم بأموال وبنين ، ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر .

تلك سنته تعالى : يداول الأيام بين الناس ، ويقيم الحجة على الظالمين الطاغين المعرضين عن ربهم ثم يهلكهم . قال عز من قائل : ﴿ **فكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبير معطلة وقصر مشيد** ﴾ (1) .

آيات لقوم يعلمون ، وآيات لقوم يتقون .

من العلم معرفة سنته تعالى فى التاريخ ، ومن التقوى التوبة إليه سبحانه ومراجعة سنته ومنهاج نبيه ، وإعداد القوة للتعرض أمام رحمته القائلة ﴿ **أن الأرض يرثها عبادى الصالحون** ﴾ (2)

حضارة القنابل الذرية حضارة ظالمة . هذا أذان بخرابها حين يشاء الله . وما بيدها من متاع الدنيا ركام لا قيمة له إلا من حيث ابتلينا بالعوز وهم مكتظون ، وبالفقر وهم أغنياء ، وبالضعف وهم أقوياء ، وبالتمزق وهم كلمة واحدة متألبة علينا .

ومن وراء ركامهم نستشف مظاهر سنة الله فى المكر والإملاء والابتلاء ، الصريحة فى قوله تعالى : ﴿ **ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها**

---

(1) الحج : 43 . (2) الأنبياء : 104 .

يظهرون ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون وزخرفاً . وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا . والآخرة عند ربك للمتقين ﴾ (1) .

ثم بعد الاهتداء بسنة الله النازل بها الوحى ننظر فى فعل الله بالعباد النازل به القدر .

قاع هذه الحضارة الظالمة - بكل معانى الظلم لاسيما الظلم العظيم وهو الكفر - مثقوب . جدرانها منخورة . أساسها الفلسفى رث تافه حيوانى ، بناؤها مصدوع .

نظافة شوارع جنيف وباريس تخفى قذارة الأخلاق وسرطان الإباحية .

قمامات هذه الحضارة المبذرة التكاثرية تنشر فى الأرض - خاصة فى بلاد المستضعفين - وباء التلوث .

قماماتها الثقافية الفنونية المجونية العارية الراقصة المجنونة تغطى الكرة الأرضية ببثها التلفزيونى الذى يقتل فى الإنسان إنسانيته .

المخدرات ، والجريمة ، والعنف ، وبرودة العلاقات الإنسانية ، والأنانية الفاحشة ، والزنا المباح ، واللواط المشروع ، وتفكك الأسرة . واللائحة طويلة .

---

(1) الزخرف : 32-34 .

والوارثون على الأبواب . متى صلح المسلمون لوراثة الأرض فسنة الله وعد غير مخلوف . وشروط الصلاح معروفة .

بعد قرن أو قرنين أو دون ذلك أو أكثر .

بعد أن يداول الله عز وجل السيطرة على الأرض بين رأسين أو رؤوس جاهلية . بعد نوبة اليابان و أوربا والصين وما الله به عليم .

أو يسخر الله اليابان والصين والأمريكان وفرنسا والألمان ومن شاء من أهل الزمان لحمل رسالة الإسلام بعد أن يتلقوها منا . ما كان التتار الذين خربوا بغداد وكوموا جماجم العلماء أقل شراسة وفتكاً من محرقي بغداد وخاذلي البوسنة فى عصرنا ، ثم أسلم التتار وأصبحوا من أقوى حماة الإسلام ، وقد بدأ المد الإسلامي والهداية الإسلامية فى أفراد من تلك الأقوام ، وتصبح الدعوة مسألة جدية عامة متى شاء الله ، ومتى تهيأ الداعى وتعلم مهارة النسج قبل أن يدخل إلى نادى النساجين. العريان لا يسمع كلامه الكاسون .



لب التاريخ

مهما كان فالمسيرة بدأت ، مهما كانت الرحلة طويلة فالقافلة تحركت . وما الصحوة الإسلامية ومضة برق خلبٍ ، نعوذ بالله . ماهى حديث خرافة ، نرجو الله . و ما النصر إلا من عند الله .

والمنهاج النبوى بشر بخلافة على منهاج النبوة بعد عصور العض والجبر ، ومنهاج النبوة عالمية الدعوة وقوتها وهداية الله للخلق .

حضارة هاوية ولو بعد حين .

وقوة صاعدة ببركة الله رب العالمين .

والشرط الشرط ، والمرض العارض فينا لا بد أن يعالج .

والتكليف التكليف ، وسنة الله لا تحابى أحداً ولا تستثنيه . يغلق فى وجهنا الباب إن طرقناه بدلال انتسابنا لسلف صالح وأمة مرحومة ونحن لا نصلح لوراثة . ونُطْرَد إن تقدمنا لنيل الجائزة ونحن لم نعمل ولم نسابق ولم نجاهد .

بطاعة الله وسلوك منهاج نبيه ننتصر . وما موازين القوى التى تملأ الدنيا علينا ونحن خواء وصفر على الشمال بالتى تثبط عزائمنا .

بعد حين من الدهر استقرئ حصيلة التاريخ ، أو اقرأ سنة الله منذ الآن فى قوله تعالى : ﴿ **وكم أهلكنا من قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورئيا** ﴾ . وقوله : ﴿ **وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع ركزاً ؟** ﴾ [1] .

من الخلل العميق فى العقل المسلم المغزو قراءته للتاريخ ونظرته إلى المستقبل من وجهة النظر المادية ، ذلك مما صبغ به الفكر الغافل عن الله وعن سنة الله ، الجاهل بها ، الجاهلى ، تفكير المسلمين . قنوات الفكر الاستشراقى سكبت فى عقولنا بواسطة المغربين . برامج التعليم الاستعمارى سطّحت فى أعيننا التاريخ فلا نرى ماضيه ومستقبل توقعاته إلا صراعاً بين البشر ، وموازين قوىً ، ودنيا بلا آخرة ، وغالباً ومغلوباً ، وسعياً على الأرض لا معنى له لإنسانٍ عبثٍ وإنسانيةٍ مرميةٍ فى الأرض.

ضخمت البرامج التعليمية المنقولة عن الأجانب الجاهليين التاريخ السياسى للمسلمين ، والصراع الداخلى بين المسلمين وغيبت تاريخ الإيمان ، واستمرار الإسلام ، وصلاح الدين ، وفوز المفلحين .

تاريخ الإيمان والإسلام والصلاح والفلاح أخبارها منسية ، ونكت وثرثرة لا معنى لها فى لغة قوم لا يؤمنون بالله ولا باليوم

(1) مريم : 74 : 98.

الأخر .

ويستدرج المؤرخ المادى مجادله الإسلامى فيخرجه من أرضية الكمال إلى أرضية البتر ، فإذا بنا نقارن الأرض بالأرض ، والعضلات بالعضلات ، والممتلكات بالممتلكات ، ساهين عن سنة الله وعن لب الوجود ومعنى الوجود .

كمن ركب فى قطار متوجه قاصد ، فإذا بطول معاشرته لركاب القطار تنسيه القصد ، وتحصر له العالم فى ركب القطار ، ويشغله الحوار معهم حتى يزول من ذهنه أنه سفر .

الأرضيات والمروآت قدر مشترك ، وقدر وبلاء ، وكسب أو عجز .

والقضية ماذا نحن ، وإلى أين ، ومن أين ؟

فى أرض الجاهليين أقيمت ناطحات سحاب علومية متناثرة فى مدينة الجاهلية المجنونة . علوم الذرة قوة فظيعة ، علوم الإلكترونيات والحاسوب دوامة مذهلة ، علوم الطب والهندسة الوراثية أفق مخيف ، فمن يتركك لتتجمع على ذاتك وتذكر ربك ولقاءه ؟ من يعفيك لحظة ويطفئ الشاشة الأرضية ويغلق النافذة المقارنية لتخرج إلى فضاء سنة الله تتأمل المستقبل بثقة وتعتبر بالتاريخ ؟

التاريخ لبه بعثة الأنبياء عليهم السلام لهداية الخلق ، تاريخ مضى

بعث الله فيه نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً صلى الله عليه وعليهم وسلم . وتاريخ مقبل نكون فيه سائمة من الأنعام إن لم نتشبع بالرسالية التي أنطقت في بساط رستم ذلك الخارج من مسجده بقرآنه يبثها فصيحة واثقه قوية : « الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام . فأرسلنا إلى خلقه لندعوهم إليه » .



المفتاح القرآنى

فتح الله بالقرآن قلوباً غلفاً وعقولاً كانت فى جاهليتها فى كِن عن الهداية . ووضع رسول الله ﷺ عن الجيل المبارك الذى عاش فى كنفه إصرهم والأغلال التى كانت عليهم .

كذلك بالقرآن يعيد الله ثانى الخلق المسلم كما بدأ أوله . وكذلك بمنهاجه ﷺ يضع عنا وعن كل جيل يهتدى بهدى الوحى والنبوة ركام الذهنيات والعادات والأنانيات التى تغم النفوس و العقول وتحجبها عن نور الوحى .

فتح الله تعالى بالقرآن والهدى النبوى آفاقاً واسعة ، وطرح على العقل الذى أسلم وصدق واتقى اقتراحات للتأمل والسير فى الأرض والاعتبار بتاريخ الأمم ، وعلمه ببيانه المعجز أن يعبر عن أدق خلجات نفسه وأرق حركاته الفكرية .

خلجات النفس المؤمنة المصدقة المتقية ، وحركات العقل المسلم المستنير بالوحى لا تدور حول سؤال « كيف » ، بل تتلقى الجواب عن سؤال « لماذا » .

فى إرسال القرآن الكريم العقل المسلم إلى « كيف » ، يريد به

القرآن أن يتدبر ما رواء المظهر ، لا أن يقف مع المظهر .

﴿ **أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت** ﴾ [1] حث على استنطاق المخلوق عن مصدره ومعناه ، عن خالقه ومصوره ، لا الانكباب فقط على وصف شكله وتركيبه وطوله وعرضه ، وغذائه ومنفعته .

مما غيم على العقل الغافل عن الله فى عصر مكتظ بالكيف الوصفي مثل عصرنا نسيان الكيف التدبرى من جراء الركام ، ومن جراء رثاثة الإيمان وعمى القلوب التى فى الصدور .

عقول ماهرة بارعة فى وضع أسئلة الكيف الوصفي الوظيفى ، زاهدة يائسة من وضع سؤال لماذا . عقول بارعة ماهرة فى الجواب المفصل المدقق المعزز بآلات الفيزياء وتفاعلات الكيمياء وأشعة الفحص وتاريخ الحقب وتجريب الوظائف .

وهم عن الآخرة هم غافلون ، وعن ربهم وخالقهم لا يسألون .

رثاثة الإيمان والغيم على العقل كيف تُجلى ؟ الإيمان كيف يجدد ؟ كيف ينتعش الإيمان ويستفيق العقل وتذهب الضبابية الفلسفية الشكاكة من أمام عينيه حتى لا ينظر نظراً أعور ، وحتى تكون مهارته فى وضع أسئلة الكيف العلومى البحثى المخبرى مقارنة

(1) الغاشية :17.

مسايرة تابعة لتدبره وحضوره وذكره معنى الوجود وخالق الكون ومحيي الأنام وباعثهم ليوم تخشع فيه الأبصار .

ذلك مما يفتحه القرآن ، ومما عنه يضع المنهاج النبوى التربوى إصرا يضيق على العقل وأغلالاً فى عنق النفس .

من الفتح الذى أتى به القرآن ورتب عليه النبوة أن شُجع العقل على القراءة والكتابة والتدوين . فما وجد المسلمون عرقلة فى الاطلاع على تراث الأمم أخذاً وزداً ونقداً . معهم كانت مصفاة الإيمان ومعيار الحق والباطل . كل ما سوى الله والدلالة على الله والرجوع بالعقل من الكيف السطحى إلى التدبر والمعنى فهو باطل .

ما أحجم المسلمون الأول عن الاستدلال والاجتهاد . ولا عطلوا وظيفة من وظائف العقل الواصف المختبر المجرب ، بل استعملوه لترسيخ إيمانهم بما ثبّت لديهم بشاهد الوحى ، يأتى شاهد العقل العلومى ليزكى الشهادة .

وسار الفتح القرآنى والهدى النبوى بالعقل المسلم أشواطاً مدى أربعة قرون ، قاد فيها العقل المسلم مسيرة العلوم جنباً إلى جنب مع هداية العلم .

ثم أخذ العقل المسلم يغطس فى سباته إلى أن أيقظته نهضة أوربا حين قرع عليه الاستعمار مخدعه .

قطع الاستعمار الغازى على كل الواجهات الوصلة بين ماضى المسلمين ومستقبلهم ، ونقلهم من عهد إلى عهد ، وأبرز عدم التكافؤ وتخلف العقل الكيفى العلومى عند المسلمين . فظن المسلمون أن تخلفهم هذا قد يكون له سبب مما يستطيع العقل المقارن أن يجيب عنه . وطرحوا سؤال لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم » ؟

ومنذئذ والمقارنة الأرضية تغلب ، والحديث عن الحق والباطل ، وعن الكفر والإيمان تغطى عليه جلبة الصراع السياسى والتحليل التاريخى .

ويتهم الحداثوى المتفرنج العقل المسلم بأنه غير تاريخى كلما تقدم العقل المسلم يدلى بإيمانه ويتمسك بقرآنه .

ويقترح المتفرنج حداثة بلا إيمان ، وتاريخاً بلا وحى .

وفد العقل الغربى مع الاستعمار فى موكب سلاحه المنتصر ، معتداً بنفسه ، مستكبراً عنيداً . ثم استوطن الناشئة من ذرارى المسلمين الذين عُرِّضوا لإشعاعه ، وغذوا بلبابه على فراغ .



تحرير العقل المسلم

الآن والحمد لله يقرأ الصاحون والمتحركون من جيل القومة الإسلامية قرآن ربهم ومنهاج نبيهم فيتمثل لهم تحرير العقل المسلم أولوية في مقدمة الأولويات .

تحرير العقل المسلم من آثار الغزو المترسبة فينا ، المتراكمة طبقاً عن طبق على ركامنا التقليدى ، المتجسدة في نخبة متفرنجة تحكم وتفرض إرادتها بالنار والحديد . وتعجز آخر الأمر عن أداء مهمتها التاريخية ، وتفشل في كل ميدان .

تحرير لابد منه ضرورى لنعلم أن تخلفنا في العلوم والصناعات والقوة وضروريات الحياة ناتج عن تخلفنا عن الإسلام ، و تخلينا عن القرآن . لا العكس .

لابد من تحرير العقل المسلم ليكون للمسلمين اقتصاد عصرى منافس في السوق . لابد منه لإقامة الدولة القطرية على قواعد مستقرة مفتوحة على آفاق القوة والوحدة بحكم إسلاميتها . لا قرار بلا إسلام ، ولا إسلام بلا وحدة .

لا قرار بدون شورى ، ولا وحده بديموقراطيات قوميات متخلفات عن الإسلام ، متخلفات عن ركب الحضارة المادية التى تتكتل

أقوامها وتتركنا نتبع شبح الدولة القومية التى لبسها الثعبان المستعمر منذ القرن التاسع عشر بتاريخ النصارى ، وهو الآن يحاول الانسلاخ عنها لنلبسها أسمالاً بالية .

لابد من تحرير العقل المسلم ليتحرر المسلمون من الوطنية الضيقة القومية القطرية .

لابد من تحرير العقل المسلم لمحو الأمية الأبجدية من خلال تعليم القرآن وتعميم العلوم ، لابد منه لتوطين البحث العلومى و اكتساب الكفاءات التصنيعية الاختراعية .

قال المتفرغ : نندمج إذاً فى العصر لنختصر الطريق !

وقلنا : بل نبنى على أصولنا لأن طريق الاندماج مغلق مسدود ، ولأن اندماج الإسلام فى الكفر ردة ، وأن تلك الطريق مفتوحة على خيبة الدنيا وجهنم الآخرة . بل طريقنا الاستقلال لنستطيع الجواب على تحديات العصر .

عصر متأزم ، لا يغرننا مابناه غيرنا من ناطحات سحاب علومية مبعثرة متناثرة لا يربطها مشروع إنسانى ، لأن الإنسان لا معنى له عند غيرنا إلا أنانية القوى ، واستهلاكية الثرى ، ولذة الواجد ، وموت الفاقد فى صومال المجاعة والحرب الأهلية ، أو فى بوسنة الإبادة والمذابح الوحشية والتصفية العرقية .

المسلمـو ن مرتبطون بالعـالـم وبمصيـر الإنسانيـة ارتباطاً ضـروريـاً معاشـيـاً ، وارتباطاً رساليـاً ، نحن فى العالم المبعوثون بـالرحمة والحق والعدل .

لابد من تحرير العقل المسلم من هاجس يوحى إلى العقل المغرب كـما يوحى الشـياطين إلـى أوليائهم أننا مـحظوظون إن ربطنا عـروبتنا الوطنية القومية بقاطرة الحضارة المنتصرة .

اختيار العقل المسلم الحر أن نسـعى بالجهاد الشامل العامل لنقود نحن إن شـاء الله ذات يوم من أيام المستـقبل القـافلة الإنسانيـة واعين شاعرين بمضمون رسـالتنا ، وبما علينا للإنسان من واجبات ، وللخلق جميعاً من حقوق .

العقل المسلم الحر ينظر إلى قدر الله المستقبل ، وإلى تكليف الله إيانا بالسعى والحيلة والمرافعة والجهاد ، فى أفق المدّى الطويل .

الوحـدة أفقنا . لامكان اليوم وغـداً فى العالم لكيـانات هزيلة . ولا رسالة لقوميات محصورة فى قمقمها كما تحصر الشياطين .

ذلك الأفق البعيد القريب إن شاء الله نسـتشفه من وراء مهمات آنية ملحة ، ومن تحت ركام ثقـافى سياسى تقليدى موروث ، أو وارد مبثوث.

وما النصر إلا من عند الله.. وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم .

وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيئين وإمام المرسلين قائد الغر المحجلين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



مقـــــدمة 5

مجاز وحقيقة. 9

من المسجد وإليه 14

ميلاد وميلاد 17

سيادة الوحي وسيادة الساحة 19

ماهو الوحي ؟ 22

التزكية والتعليم 32

يا أيها الإنسان 35

أية تربية ؟ 39

ليل التبتل ونهار السبح 41

الطهارة 44

الصلاة 49

طعم الإيمان 50

كنف الإسلام 52

طب الوحي وصيدلية النبوة 55

فلك ومدار 62

* هذا العقل المعاشي المشترك بين البشر إما يكون آلة للقلب يخدم تطلعات القلب إلى خالقه ، وإما يكون آلة للهوى المتأله ، أو للنفس والشهوات ، أو للفلسفة والتأملات ، أو للفعل في المكونات ، أو لجمع المعلومات واستنتاج حصيلة الماجريات .

* وكمال العقل الآلة أن يخدم القلب وتطلعاته خدمة متزامنة متساوقة مترابطة هنا وهناك . هنا في الكون حيث يشترك مع كافة البشر في طرق تحصيل علوم الكون ، وهناك وراء سجف الغيب من حيث لا تتأتى له معرفة إلا باستماعه للوحي .